

١٥٣

قصص قصيرة

المصيدة

السيد نجم

دراسة

د. رمضان بسطاويسي محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

التيـــه

- ١ -

أنا الآن وحدى . هاهنـا فى الشقة الصغيرة الضيقـة ، شقتنا التى كنا معا .. نعيش . الجدران ، الأوراق المنثورة ، وحبيبتى .

هنـا أنا بمنجى عنه ، عنهـا ، عنهم .. عن كل شىء . أما الأنبـاء الواردة عمدا ، الشمس الساطعـة الغافلة عمدا ، الرياح الهوجـاء ، والريح الطيب عمـدا ، والزمهرير والقيظ المتتابعان عمدا .. و .. وأصـوات الخرير والهزيم ، الهديل والنعيق ، الحفيف والفحيح ، التغريد والنواح . كلها ، كلهـا من هناك .. لم أعرها اهتماما . أطل من خلال زجاج النافذة .. أضحك . أرض مبتلة ، أفريز يعلوه شجرة مرعوشـة لا تقوى على الصمود ، أناس يعدون ، يخبئون رءوسهم داخـل فكرة النجاة فتغوص أقدامهم عفوا فى المستنقعات العفنة . أطل عليهم

ثانية . أضحك . أرض جافة ، أفريز يعلوه الغبـــار . الشمس الهاجرة تقدح فيتشقق الزفت القاتم . هواء مغبر جاف يحرق الأشجار الهامدة ، وأناس يعدون ، يخبئون رءوسهم داخل أمنية الخلاص فتغوص أقدامهم عفوا فى الحفر الغائرة المتربة الجافة .

فأضحك ، أضحك ، أضحك !

– ٢ –

منذ أن دخلنا ذلك اليوم البعيد الى شقتنا العلوية ، وبين يداى راحتاها ، وفى عينى نظرتها المتسائلة الحـــائرة . قالت ، كانت دائما تقول :

(انى أسمع أصواتا لأقدام خلف الجدران)

أرد غير عابىء :

(لعلها لأطفـــال تلهو)

ترمى رأسها على صدرى :

(لا ليست لأقدام بشرية)

فأقبلها فى عينها اليمنى ثم اليسرى .. أضحك ، أقول :

(ربما لهرة تلهو وذكرها ، دعيهما)

تلتصق بى أكثر ، أشعر بحرارة لحمها . تقول :

(لا ليست لذوات أربع)

فأدغدغها ، أشعث شعرها الناعم ، أضم رأسها بين عضد وساعد ذراعى اليسرى ، وأهزهزها .. صامتا هذه المرة .

ولمــا كانت عينــاى تنظران فترى ، ولا أستطيــع أغض الطرف دوما ، وجــدتنى مجبرا أن أنظر الى أعلى الحــائط قبالى . بجوار صورة مكبرة تجمعنا ، اطارها ذهبى وخلفيتها شجرة صناعية رديئة الطالع .

لمحت صدعا متعرجا ثعبانى المشهد دقيقا يكاد لا يرى . الأمر يحتاج الى وقفة تأمل دقيق ، والوقت غير مناسب فرأسها على صدرى . مشغول بها اذن

شعرت برغبة فى أن أطمئنها ، فأضحك ثم أضحك .

— ٣ —

داخل الشقة الضيقة الصغيرة لم يكن يعوزنى شىء . كنا كروحين هائمين .. نبحث عن جسد واحد . نستنطق الأشياء فننطقها . مقعد واحد فنجلس ، طبق واحد فنأكل ، كتــاب واحد فنقرأ . أما مرقدنا العريض تمردنا على سعته حتى تقعرت حاشيته

فدمعت عينانا ضحكا . نعم ، تأكدنا أن المرقد ارتسم على هيئة علامة اللانهاية الجبرية أو الشدة الممدودة فى لغة الضاد .

من حولنا الجدران الصامدة والصامتة .. شفافة . حبيبتى ، كانت تنظر من الجدران وترى العالم . فتقول :

(بحور العالم .. زرقاء كعينى فتاة جميلة . سطحها هامد .. وعمقها تمويه ، خداع ، مواربة .. وصراع)

رمال الدنيا .. صفراء كسنبلة قمح باسقة ، أراهم يسعون يهرولون ، يقفزون .. من أجل حبة منها .. ناضجة .

جبال اليابسة أوتاد كعنادك من أجل حبى .

ويخرس لسانها فجأة ، تحوطنى بذراعيها ، تمرغ وجهها الملفوح بشمس الظهيرة ، الندى بعرق يعلو أنفها ، وبشفتيها الجافتين المرعوبتين تلملم لحم صدرى ثم تنطقها مقضومة الكلمات غير مفهومة ..

(أبدا ، هى . هى . هى ، أقدام لقادم لا محالة)

فأحملها فوق ساعداى أرفعها ، أطوحها فى الهواء ، ألقى بها الى مرقدنا ، وأصك شفتيها حتى لا تنطق .. بشفتاى ...

فتصمت !

وأكتفى بالنظر بعيدا ، أبدو كمن دسوا فى عينيه غمامة غاصت الى عقر مخه .

لحظتها لم أر سوى الشق الثعبانى الدقيق الذى يغوص فى الجدران .

بلا رغبة وحتى أطمئنها ، افتعلت الضحك .. فضحكت ضحكة ممجوجة !

— ٤ —

وقتها ما كان يخطر على بالنا من أشياء لا تكون الا لنملكها وملكنا السماء الجارية فوق رأسينا .. بنجومها وأقمارها وسحابها وأثيرها . ألصقناها فوق الجدران .

يوم رغبت فى الحكى ، سألتها وأجابتنى ..

قالت :

(سألونى ذات مرة .. هل تحبينه ؟

همست اليهم : يا رفاق ، عندما يكون ميعاد لقاء .. تزغرد الخطوات من قدمى ، وترقص سيقان الناس من حولى . وبعد أن أتركه ليغيب عن وجهى ، يطوقنى عقد من أنفاسه .. شهيقى من زفيره ، عبيره بغير شبيه) .

مبتسما لاحقتها ، قلت :

(ما أن تهفو نفسى اليها ، التقطت عينيك من بين عيون العالم ، أجذبهما ، أدفعهما نحوى ، أطرحهما الى بساط يكفينا من جدائل شعرها الأسود •• و •• أطير ، أشرد ، وأتوه) •

فترد رائعة العينين ••

(التيه ، وأنا معك ، وأنا بعيدة عنك)

ترفع رأسها غاضبة السحنة تقول :

(ماذا بك ! هل حان وقت التذكر •• ألم تعد تحبنى ؟)

أجذبها وأضمها حتى تتلاشى فى جسدى • الا أنها سرعان ما انفلقت عنى ومنى •• صاحت بصوت مذعور زاعق :

(ها هو الصوت يعود ثانيـــة •• بل وما بعد الألف •• أسمعه • ها هو الصوت الخرافة ، الحقيقة •• قادم •

ها هو صوت أقدام تجوس خفية خلف الجدران لقادم لا محـــالة) •

وجهها يشحب ، عيناها تدمعان ، أطرافها تعجز عن احتوائى هذه المرة ، وان حاولت •

سرقنى مشهد الشق الغائر داخل الجدران بجوار صـــورة تجمعنا ••

شهقت ، حاولت افتعال الضحك •• عجزت حتى عن بسمة شمعية كاذبة !!

الطـــائر

سمع النحيب يعلو من بين الشفتين المتباعدتين ، سرعان ما بات لهاثا وشخيرا •

أكاد لا أتبينهم بعدما حوم طائـر غامض غريب فوقنـا ، فانكسر ظله على وجوههم ووجهى ، وسـكنت غمـامة الحزن القـلوب •

ارتفع الصياح ، يسألون عن الرجل المصـدوم بسيارة مجهولة الهوية •• اللون ، الرقم ، السائق وكل الأوصاف •

طالب بعضنا بالمحاولة :

« حاولوا جمع شتات ما تعلق فى ذاكرتكم منها »

صمتنا جميعا الا واحدا •• قال :

« كانت السيارة ذات صفات لا توصف ، فى لمح البصر انتهى كل شىء »

من يرانا يخالنا بلا أذرع بعدما فقدنا العينين واللسان .

***

يبدو أنهم لم يتعرفوا على صاحب الجسد المفرفر تحت أقدامهم . التصقت أجسادهم ، تراصو على شكل الدائرة .

أسرعت نحوهم ، أوقفونى فى هدوء غريب ، ثم قالوا :

« ماذا تطلب ؟ نراك تستهزىء بالواقعة »

سألنى صديقى أخيرا :

« لماذا تغامر بالدق على سياج جماجمهم ؟ »

صرخت فى وجهه :

« من أدراك أننى أخشى طائرهم الغريب ، أنا خارج كهفهم »

جفونه نصف المنفرجة سقتنى كل ألوان السباب ، عدت وحدى ، تقهقرت للخلف أمضغ غليى . وقتها فكرت مليا ، قررت أن أقتحمهم ثانية وفعلت . اندفعت ، أزحتهم ، نظرت

فرأيت المسجى على الأرض ، سحنته المكسوة بالهزيمة مخضبة بالدم المختلط بلون ليس كلون التراب ، كان بلون رماد الهشيم .

ما أن سكن الطائر فوقنا ثانية ، نكسنا الرءوس ، أخبرتهم :

« ما بقى من سحنة الرجل المصدوم .. أعرفه بها »

تشككوا فى الأمر ، وقالوا :

« حتى الآن لم تتعرف عليه .. وحدك القادر على .. ! »

قاطعتهم ، من أجل شىء فى نفسى تحديتهم :

« أظن أننى لو صلحت لشىء ما فى هذه الدنيا لكنت أصلح أن احتفظ بملامح من تجمعنى بهم طرقات عليها دبيب قدمى »

سخروا منى ، تابعت منفعلا :

« أعرفه نعم ، بل وتعرفونه أنتم أيضا !! »

لسانهم رشق الصمت فى أذنى ، قبضوا على أقوالى لهم ، ودسوها فى جيوب سراويلهم العميقة .. فعدت قابضا على حيرتى .

***

اندفعت نحوهم ، الى منتصف الدائرة ، حاولوا ايقافى فى هدوء غريب ، ثم قالوا :

« ماذا تطلب ؟ نراك تستهزىء بالواقعة »

لم أبال ، حملقت فيمن بين أقدامهم .. دهشت . اقتربت أكثر .. ذهلت . التصقت بالمسجى .. ذبت . لم أستقم ولم يحم الطائر الغامض الغريب فوقنا .. اختفى . تلاشى الظل من فوق الوجوه فسمعتهم على غير توقع يرغون ويزبدون ، يبدو أنهم عرفوا صاحب الجسد المسجى .

عيناى ولسانى وأذنى ، قدماى وساعداى ورأسى ، أحشائى وجلدى ، كلها بدت لى غير ما كنت أعرف . لذا لم أطلب منهم شيئا ، لم يعد يعنينى أمرهم ولا حتى سؤال ملأ رأسهم :

« أين ذهب الطائر ؟ !! »

الصبغـــة

- ١ -

فى المرآة تأمل شعره المشتعل مشيبا • فض الغلالة • مزق العلبة • رفع الزجاجـة وارتدى القفاز • صب الصبغة فى اناء طعامه • تذكر أنه لم يغسل رأسه • اندفع الى حوض الغسيل تأمل الأوساخ العالقة برأسه •• أتربة ، شعيرات بيضاء هدها الزمن فسقطت ، قشة صفراء ، قبض عليها : « من أين جئتنى أيتها الملعونة ؟ » ••• « آه ، أثناء اطعام زوج الحمـام فى المطبخ فهاجا على رأسى • أزعجتهما ، الذكر الملعون كان يداعب أنثاه ». عاد مسرعا الى قطعة المرآة العالقة بالحائط فى مواجهة سريره السفرى • مسح بالفرشاة المبللة بالصبغة السوداء :

« يجب على أن أجفف شعرى أولا هـذه هى أصـول اللعبـة » ، ارتمى الى حافـة السرير : « لن أسـمح بفشـل

المحاولة .. كفانى فشلا » . حك المنشفة بشعره ، فاصطبغت بالأسود : « دليل محـاولتى لا يهم ، سوف اتخلص منها » .

انتظر، مضت بعض الدقائق ، طويلة . خال نفسه مصبوغ الشعر بالأسود : « هل سيتعرفون على ، أكيد لن .. ؟ ! عظيم هذا الاختراع ، على بالانتظار حتى يجف » . نظر الى الأشياء من حوله وأمامه . بطاقته الشخصية فى ركن منها . تأمل صورته من بعيد . ابتسم : « أشبه بصورة المطلوبون للمباحث والبوليس الدولى » . أمسـك بطرفها العلوى . حدق فى بياناته . كأنه يراها لأول مرة . الاسم بالكامل : ــ صابر عبد الدايم المشد . تاريخ الميلاد : ــ عشرون مارس سنة ثمانية وأربعون . الوظيفة أو المهنة : ــ رئيس قسم البحوث . محل العمل : ــ وزارة التموين والتجارة الداخلية . محـل الاقامة : ــ عشرة درب سعادة ــ باب الشـعرية ــ القـاهرة . فصيلة الدم : ــ ٥ . « أهذا أنا ؟ .. بلا .. » .

القى نظرة الى المرآة . تحسس شعره الأبيض من قلب اللفت والفجل البلدى : « كم من المشاكل أعيشها بسببك أيها الشعر العاجز العجوز ، أعطونى عمدا أكثر من سنين عمرى . تشقق جبهتى ، والحفور حول مآقى عينى ، واحتراق بشرة سحنتى ، كلها اشتركت فى المؤامرة . الصغار يقولون له « يا عم

صابر . الكبار لقبوه » بالحاج صابر « . نفرت منه الصبايا والفتيات . أكدت النســوة فى حوارهن أمام أبواب منازلهن : « صابر دميم الوجه سليط اللسان و مجنون » .

« أن أكون رئيسا لقسم البحوث ، وحده دليل على رجاحة عقلى انه يتحمل مسئولية الدراسات السابقة لأى قرار هام . كم بذل من الجهد لينتهى الى توصيات خطيرة . ما أن يقرأها مديره العام يلقيها جانبا يصــدر قرارا بعكس ما أوصى به . دخل عليه منفعلا . الرجل قرأ أفكاره ، لاحقه قائلا : « ان ما أراه أنا لا تراه أنت » ، « كيف ؟ » . « هذا هو الفرق فى الوضــع الوظيفى » ، « كيف أيضا ؟ » . « هكذا أصحاب القرارات الخطيرة » ثم ضحك بصوت عال وهو يقول :

« يابنى ، اياك تظن أن شــعرك الشايب يخــدعنى ، أنا كاشفك ، عيل وشعره أبيض » . ما كان منه الا أن نهض مندفعا نحوه .. ضربه على رأسه . أحيل للتحقيق .

خرج من مبنى الوزارة شاردا . كادت تصدمه سيارة ، انحرفت لتصيب عجوزا يعبر الشارع . صابر بحدة أمر الفتاة الجميلة ، صاحبــة السيارة الفارهــة أن تنقل المصــاب الى المستشفى . أفهمها أنه ســوف يضربها . نفــذت . الطبيب قــال : « انه فى حاجــة الى نقل دم والمستشفى بلا دم » .

« أنا فصيلة دمى ه يا دكتور » ، « ممكن تعال معى » • من بعد أمره الطبيب بشرب لتر لبن حليب وأكل باكو شيكولاتة ونصف كيلو كبدة طازجة •

اشترى المطلوب بآخر ورقة من فئة العشرة جنيهات معه • عاد الى منزله ، ارتدى جلبابا صوفيا ، تربع فوق الأريكة البلدية خلف النافذة • بدأ يتأمل اللاشىء هناك •

- ٢ -

كل شىء معد لأن يصبغ شعره بعد قليل • تذكر أنه لم يقرأ الجريدة الصباحية • بدأ يقرأها بامعان ومن الخلف ، بدأ بصفحة الوفيات • بعضهم يشكر كبار سادة البلد • « ترى كيف يعرف المسئولون الكبار كل هؤلاء الموتى ، لعلهم مثل مديرى العام يرون ما لا أرى ؟ » • انتقل الى الاعلانات : « كلها تخاطب علية القوم والا لماذا الاعلان عن مصانع الأثاثات الفخمة ، وتوكيلات السيارات التى لم نكن نعرفها ، ثم أبراج المبانى التى فيها كل أحلام العمر » • رمى بصره على مقال لأحدهم ، قرأه • « انه يتخابث وهو يشير الى ضرورة أن يكون الانفتاح الاقتصادى انتاجيا وليس استهلاكيا » ألقى •

بالجريدة . لمح الاعلان المفاجأة . شركة استثمارية تطلب نفس خبرته ومؤهله . انه يجيد الانجليزية واليونانية .

فيما مضى عمل كصبى بقال اجريجى وتعلم منه اللغة . البقال هاجر عام اثنين وستين قبل سفره قال له : « أنت أولى من الغريب ، أبيع المحل لك » . رد عليه بالرفض : « أنا لا أصلح لشىء فى هذا العالم الا للشعر » فضحك الرجل .

شرد « صابر » وهو يتأمل سحنته فى المرآة : « هل أصلح أن أكون موظفا فى شركة استثمارية ؟ » لمح آثار جرح دمل يمزق شاربه الكث . تحسسه ، تذكر ليلة أن عاد ليلا مجهدا وقد ارتمى الى حضن أمه التى عاشت له ولأخيه بعد أن مات عنها زوجها . تناول وجبة المساء والظهيرة كعادته . نام .

يقضى نهار يومه فى المدرسة ومنها الى محل البقالة بعد أن اشتراه مصرى . عادة لا يتذكر متى تنتظم أنفاسه . لايعرف الوسن والكرى والغفوة غالبا يعبرها الى النوم العميق . « أكان حلما أم كابوسا » . لا يدرى وقتها . « عتريس » المخبر السرى وشريكهم فى الشقة الضيقة عاد حالا بعد أن سلم زوجته للمستشفى . سألته أم صابر . قال : « تعبت ، نويت على طلاقها » . « ناقصك شىء » ، « ناقصنى امرأة جميلة مثلك » . اقترب منها ، التصق بها . « يا مصيبتى ، ابعد

يا عتريس ، صابر يكسر عظامك » • سحبها من عضدها الممتلىء • صاحت : « يا صابر » •

نهض صابر أمسك عصا غليظة • تراث أبيه • هوى بها فوق رأس عتريس ، قبل أن يسقط الرجل تمكن من صفعه واحدة فوق خد الصبى • مزق شفته العليا •

انتبه صابر : « الآن أصلح أكثر ، أن أكون ضمن أولاد الذوات وقد حلقت شاربى الممزق » •

باق من الزمن نهار وليلة • خال نفسه جالسا أمام الممتحن• « سوف يسألنى عن خبرتى ، اسمى ، وعنوانى » •••• « وماذا أيضا ؟ » •

نهض يسرى عن نفسه • أعاد قراءة الاعلان • وقف أمام سطر لم يكن قرأه من قبل •• (لصاحبها صفوت الحيوان) سطر واحد وأدار رأسه • شعر بالدوخة والغثيان : « معقول • هل هذا معقول ؟ » كررها « صفوت •• الحيوان •• صفوت ••الحيوان » • تساءل ان كان هو الذى يعرفه : « انه تربى معى • ليس فى الحارة • أنا لم أعرف اللعب فى الطين والتراب • عرفته لأنه عمل فى محل الميكانيكى بجوار محل البقالة • كان لقبه ، « بلية » ، فكان أصغر وأمهر « بلية » فى الحى والأحياء المجاورة ، كثيرا ما لاحظ الزبائن احتباس

المقعد الأمامى الى عجلة القيادة . بسرعة تعلم الشيطان قيادة السيارات ، بالرغم من ضرب الأسطى صاحب الورشة له . الأسطوات الكبار دائما يزيحونه من جوارهم . بسرعة تعلم اصلاح السيارات فخشوا على أنفسهم منه !! كثيرا ما كان يحضر الى المحل لأصنع له شطائر الجبن الأبيض مجانا ، يرفضها . كان يصر على أن تكون بسطرمة وزبد بالمربى . عندما أرفض ، يشكونى الى صاحب البقالة ليأمرنى أن أطعم « الولد الغلبان » ، أنفذ .. فيعطى للخواجة ظهره ويلعب لى حاجبيه ويدلدل لسانه . أهو حقا ؟؟ ! » .

- ٣ -

لفت نظره فى الجريدة أن الاعلان لليوم الثانى على التوالى وفى الصفحة الأولى . للمرة الثانية تأمل الاسم : « صفوت » الذى أعرفه اختفى فجأة من الحى كله . لم أقابله الا عام ثلاثة وسبعين قبل حرب أكتوبر بشهر واحد . كان ضمن الدفعة الجديدة الملحقة على الكتيبة الثانية مدفعية ، اللواء الثالث ، الفرقة التاسعة عشرة . عند مشارف مدينة السويس . « أنت صفوت الحيوان ؟ ! » ، « أنت صابر عبد الدايم المشد صبى البقال . أخذت شهادة ؟ » .. « نعم ، بكالوريوس تجارة » ..

« أنا حصلت على الثانويـة العامة • لم أجد لها فائـدة » • كيف ؟ « وأين كنت ؟ » •

« فى الدنيا الواسعة •• المهم الآن قل لى نظام الاجازات هنا » ، « ميرى » • « ماذا تعنى ؟ » • « كل أربعة وعشرين يوما خمسة أيام اجازة » ، « يا نهار مهبب ومطين بطين » • « لمـاذا كل ما قلت ؟ ! » • « فشلت محـاولة هروبى خارج البلاد • هربت من التجنيد • جندونى بسنة زيادة » •• « كنت أرحت نفسك وسلمت نفسك بدلا من العقاب » • « أنا •• أنا أسلم نفسى • آه •• أنت لا تعرف شيئا » • « لا أعرف ؟ ! ، عرفنى » • « العبد لله رجل مهم • كسيب » ، « كيف ؟ » • « عملت عند تاجر بازار وجدت العجب • سنة والتانية كنت أنافسـه » • « فيما ؟ » • الحيوان مال الى اذن صاحبـه • « فى تجـارة الآثار ، لا تسـأل أكثر من ذلك » •• ضحك • وحده • ازداد ضحكا عندما سمع رد صابر « يا نهارك الكوبيا ، فى الآثار » • « عموما لها حل » • « فيما • ؟ » • « فى الخروج من الجيش !! » •

ظل صابر صامتا حتى لاحقه الحيوان : « يا صابر ، هل لك قريب طويل عريض يرتدى بالطو وقلنسوه صـوف » ، « لا أتذكر » • « الأول اعطنى سيجارة ، لا ، سيجارتين » •

« خذ ، من هـذا الرجل ؟ » . » رأيته مع أمك .. الظاهر زوجها يا وحش .. »

بسرعة قالها وتحرك . غرب عن وجهه . « كل شيء تسأل عنه ، فضولى » . « سلام يا وحش يا بطلنا على الجبهة . أليس هذا لقبكم هنا » .. قالها صفوت واختفى تماما .

تقابلا من بعد مرات قليلة . نجح صفوت فى العمل بمكتب قائد الوحدة . اندلعت الحرب ، بعد ثلاثة أيام بالضبط تم ترحيـل « صفوت الحيوان » فى عربة اسـعاف الى مستشفى الامراض العصبية للقوات المسلحة !

« صابر » تذكر أمرا هاما . صـور شـهادته الرسـمية وخبراته . أخرج الظرف . فتحـه التقط الأوراق الهامـة . « لكن ... ترى هل سيتذكر الخمسين جنيها التى اقترضهـا منى عندما زرته فى المستشفى . الملعون ادعى الجنون . نجح فى خداع الطب والأطباء ؟ » .

مع أذان الفجر استيقظ . نادرا ما يحدث . نهض . جهز ملابسه وأوراقه . كان أول الداخلين الى الشركة . شعر بقلق العمـال : « صفوت بيك .. صفوت بيك » . انتبـه للداخل . دخل البيك . « انه هو صفوت حامد الحيوان » ..

انتفض من فوق المقعد • صاح : « صفوت الدفعة الوحش ابن الحتة المجدع » •

ـ « من أنت ؟ » • « أنا صابر » •

« من صابر ؟ » • « صـابر عبد الدايم المشـد ، ربما نسيتنى ! أنا صبغت شعرى » • « لا أعرفك » • اندفع صفوت بك ، دخل مكتبه الفخم المكيف • « صابر » ظل لفترة واقفـا ثم اندفع يطوى درجات السـلم حتى خرج من العمـارة • عندما عاد الى حجرته ، تأمل فى المرآة شعره الذى كان مشتعلا شيبا • سحب المقص جز كل فروة رأسـه • امتلأت الغرفة ببقايا الشعر المصبوغ بالصبغة السوداء •••

بالرغم من أنه أشرف على الانتهاء من طقوسه الصباحية ، بقيت جفونه مرتخية وغلالة رقيقـة خبيثة فوق عينيه تحيـل رؤية زوجته وحجرة نومه والصورة الوحيدة المعلقة للموناليزا وكذا جـدران شقته وسقفهـا الى أشياء منبعجة ، ممطوطة ، مضحكة فى نهاية الأمر ، كلها أيضا فى جعبة عتمة غائمـة لا يدرى لها سببا .

صاح على زوجته وهو يحك جفونه المغمضة ، يدعكهـا جيدا . تقدمت الزوجة هرولة مستفسرة ، ولمـا لم تسمع اجابة شافية غضب ظنا منها أنه عامدا متعمدا لا ينظر اليها .

حـاول أن يشرح لها ، قال ان شـعوره بالعتمة هـذا الصباح جد غريب قاس ، من قبل انتابته بعض الأعراض متفرقة منشـورة وكان ينجح فى مواجهتهـا ، كأن يستيقظ على فمـه المفتوح مرسـوما على تثاؤبه ، فيسرع بوضـع رأسـه تحت

الرشاش البارد •• ويفيق • كأن ينتبه على مشهده فى المرآة صباحا وقد تهدلت عضـــلات وجهه فتبدو سحنته وكأنها زخات من اللحم الشائخ فيدلكها بالمنشفة حتى تعود الحياة اليها •

أما أن تجتمع كل تلك الأعراض ومرة واحدة ، كمن ألقى به من الاجرام البعيدة ، هــذا ما جعله عصبيا وجعل الزوجــة الصغيرة قلقة •• حتى قالت له :

« لكن ، ترى لمــاذا اليوم بالذات غير الأيام الفائتة ؟ ! »

« تقصــدين اجتماع كل تلك الأعراض » •

كورت شفتيها ونفت ، ثم تابعت :

« كنت تشكو من أعراض فيك أنت • اليوم تراها على وعلى شقتنا ــ حصن حبنا ــ » •

شعر الزوج وكأنه أمام فتوحات زوجية لم يفتح الله عليــه وعلى زوجته بها من قبل • لم يجد ما يجيب به •• فصمت •

« ربما بعد احتســاء فنجان القهوة ، والتهــام سيجارة الصباح ، وانشــغالى فى العمــل ستكون عودتى بعد الظهيرة أفضــل » •

قالها الرجل وقد عزم على الخروج ، نجح فى اجتياز الباب، تاركا خلفه صــوت ارتطامه بالأشياء المنثورة بين طرقات الشقة

والباب المعـــلق ، فتحسس المزلاج ، فتحه واندفع فى حرص غريزى الى الشارع •

سمعها وهى معتلية السور الحديدى للدرج ، تقول :

« لا تدع أيام أمشير تخدعك ، عد وارتد الملابس الثقيلة الصـــوفية » •

***

عندمااستقبل ضوء الشمس فى الشارع المزدحم •• شعر بانتفاخ أوداجه فهلل وكبر سعيدا برؤيتها •

شعر الرجل بالأشياء من حوله ومن فوقه وتحته فانتبه • الناس •• المندفعة المهرولة ، لم يستوقفهم صوته الزاعق ، فقط ألقوا نظرة محايدة صامتة بليدة وتابعوا • السيارات •• بنعيرها وخوارها لم يقف سائقوها •

أما أتربة أمشير المندفعة من تحت الى فوق ، ومن فوق الى تحت لم تهمد •• فأغمض عينيه جبرا • همس الى أذنيه :

« فى العام المـــاضى نصحنى الطبيب أن أواجـــه أمشير بغمضة طويلة وأنا أعبر الشارع وأسير فى الطرقات وحتى أدخل الى الأماكن المغلقة » •

تابع : « هو الحل اذن ! » •

بدأ فى تنفيذ فكرته مستعينا بسيارة أجرة تقوده الى مكان عمـله •

***

سائق السيارة طلب منه مبلغـا كبيرا جدا • سـأله عن السبب ، تشاجرا • كان يعتقد أنه يتعامل مع تلك السـيارات مقابل مبلغ يحدده عداد يدق كل بضعة أمتار ، فيدق قلبـه معه ومع تلك المعاناة طيلة المشـوار فوجىء بالسـائق يصرخ قائلا :

« ان المبلغ الذى أطلبه منك ليس كبيرا ، انه مقـابل أن عفوت عنك ولم أتركك بين طيات غدر أمشير •• ومقـابل رؤية سحنتك الغريبـة تلك ، بل ورائحتك العفنة فى داخـل سـيارتى •••

••• أيضـا لأنى سحبتك من يدك ودخلت بك حتى باب غرفتك فى عملك ها هنـا •• والوقت عندى عداد يعمـل •• ألست معى ؟ !! »

الرجل لم يكن منتبها الى تفاصيل ما سرده السائق ظنـا منه أن تلك الحركة الغريبة للأرض من تحتهما وللأشياء التى

تموج وتهتز من حولهما حتما ستجعله يكف عن الصراخ وتدعه يرجو النجاة .

فتمتم :

لحظتها لن يحصل على شيء ، وقتها سيكون وقت فراق بيننا ولا فكاك سيكون الآنى الخالص » .

السائق لم يمهله كثيرا قبل أن يضربه فقط قال له :

« عليك مقتى وغضبى » .

ثانية خاطب أذنيـــه :

« لولا العتمـــة التى تصيبنى فى الأماكن المغلقـــة لكنت تعلقت فى رقبته » .

أشعل سيجارة وجلس على الأرض .

***

ولمـــا التفت الزملاء وانتبهوا ، كان الرجل يلملم أشياء لم تسقط منه على الأرض .

يعسعس عليها بين أتربة أمشير المندفعة من النوافذ المفتوحة طيلة ليلة الأمس وصباح اليوم والتى لم يرفعها عامل النظافـــة بعد ، لعله لن يفعل ، فهو القائل :

« لمـاذا .. وأمشير ليس له أمان ؟ »

تجددت مشاجرة أخرى بين الموظفين وعامل النظافة ، بين الرجل ورأسه ، رأســه التى امتلأت بأسئلة عديدة حائرة عن تلك الحـالة الغريبة التى انتابته فى صباح هـذا اليوم الأمشيرى المباغت .. وفى أمشير المـاضى وكل أمشير !!

الطـــاعون

— ١ —

« السيد » ليس قويا . سرعان ما تهون عليه دموع عينيه اذا ما فقد قطـة كل قطط المدينـة تعرفه . يطمعها وتنام بين قدميه . لأنه يعرف أسرار أهل مدينته سحنته دوما مغضونة ، جبهته الضيقـة مقطوبة بين حاجبيـه ، كره مذاق دماء بناتهم الموءودة .

ذات صباح لم يسمع المواء ولم يشعر بنعومة شعر قططه . خرج . هاله مشهد الفئران فوق كل طرقات المدينة . قال :

« الطاعون قادم يا أهل مدينتى » .

أحدهم لم يعره اهتمامه . عينـاه الواسعتان الأكبر من محجريهما شردتا . عاد فقال :

« الحقيقة انهم أقوى من زندى » .

بعدها خلع نعليه وملابسه القديمة • تأمل جسده العار • حك جلد قفاه • شهق فور القاء المياه الباردة فوق رأسه • هاله عكارة لون المياه الساقطة من أطراف أصابعه ، ومن بين فخذيه ، كأنها تحمل أوساخ العمر كله • ارتدى خفا جديدا صنعه بيديه ، وملابس فضفاضة حاكها بنفسه ، وقلنسوة جدلها من صوف أغنامه ، ثم استعاذ بالله وخرج •

عند الباب وجد شابا أخضر الشارب يسعى ما بين حدى الدار • سأله مستفسرا :

« من جاء بك الى هنا • ولماذا ؟ »

رد الصبى بثقة :

« جئت كى أخرج معك » •

« السيد » لوى شفتيه • انقضت فترة من الزمن الثقيل • فجأة قال :

« ولدى ••• لن تطيق معى صبرا ••• لن تقدر » •

الصبى باصرار تابع :

« سوف أفعل » •

ببسمة ملؤها المرارة والكدر قال السيد :

« طريقى وعر ، طويل ، شاق المسار ، غامض المقـام ، يا ولدى شرطى عليك ألا ينطق لسانك رفضـا أو قبولا .. هل توافق ؟ »

(موافـق) .

« اذن تعـال » .

– ٢ –

خرجا من المدينة وهما يرسمان خطوات واسـعة سريعة للخارج بجانبها تماما خطوات معكوسـة حتى لا يفقدا الطريق أملا فى العودة .

همد الليل بأردافة ثقيلا ، فأشعلا نارا وتكلم « السيد » ، أخيرا نطق لسانه :

(مع غروب شمس الغد سـوف نخطو أعتـاب المدينـة القريبة . هل تعبت يا ولدى ؟)

« لم أتعب فقط » ، مترددا تابع : (فقد أريد أن أعرف ، لـاذا أمرتنى بالصـوم وفى السفر مشقة) . تجهم « السيد ».
اضطرب الصبى ، وتابع المسير بعينين متسائلتين ولسـان يلوك الصـمت .

- ٣ -

دخلا المدينـــة الأخرى مع ليلة لا يدريان لها صبحـــا • قابلوهما بالصمت • جلسا الى جــذع شجرة ، على غير توقع نهض « الســيد » ، عاودا المسير ، قابلا شيخا هرما ، وقــور المشهد غائر العينين ، مشقوق الشفتين ، صامت الكلمــة • السيد مال الى رأس الرجل :

« الفئران مرة أخرى ، جئت أخبركم ••• الطـــاعون قـــادم » ••

وكأنها صحوة الموت ، انتشر الخبر ، أهل المدينــة هاجوا ، التفوا حول بعضهم بعصـــا ، سألوا الغريبين • الســيد قـــال وأكـــد :

« أنا ومولانا الملك نعرف » •

دفعوا بهما دفعا الى القصر • مال الى أذن الصبى مبتسما :

« لعله يفعل •• » •

عينا الصبى تسأل ، ولسانه يلوك الصمت •

جلسا الى جوار أريكة الملك ، وأمام أطباق الفاكهة الشهية. التف رجال القصر حول « السيد » يسألونه . ما كان منه الا مقولة واحدة :

(صدقونى لست بالمحتال الماكر .. الفئران تملأ الطرقات ، رأيتها بعينى رأسى) .

ما أن سمع الملك ما أسربه الشيخ ومقولة الغريب حتى تذكر أياما كان فيها طفلا . داهمهم الطاعون ونال من أرواح نصف أهل المدينة .. علا صوته قائلا :

« يا له من يوم أحلك من سديم ليل بغير قمر » .

رجال القصر هالهم الخبر :

« انه الطاعون يجب أن نستعد له » الملك يخاطب « السيد » :

(ترى بماذا نبدأ ؟) .

رد الغريب بلا تردد :

(بسور عال حول المدينة) .

(نفذ يا وزير قول الغريب المخلص) .

الوزير محتقن الأذنين .. يقول :

(من المحال تنفيـذ المقال وأنا بين يديك يا مولانا .. عبدك ورهن اشارتك) .

الملك دهشـا :

(ماذا تعنى يا وزيرى ؟ !)

صمت .. تابع :

(اذن أقصيتك .. وعينتك يا غريب وزيرا) .

ببساطة رد السيد :

(لك ما شئت يا مولانا ، وحتى صياح الديك ليوم جديد سترى سورا عاليا مانعا وسديدا) .

انفضوا من حول الملك ، وتفرغ الغريب لعمله الجديد . مرة أخرى عين الصبى تسأل ولسانه يلوك الصمت .

— ٥ —

منادى المدينة سار يطرق فوق رءوس الجميع :

(الحـاضر يخبر الغائب ، الطـاعون قادم . بأمر مولانا الوزير نبنى السور الكبير) .

أهل المدينة أثاروا الغبار فوق رءوسهم ، والمشاعل تضىء الظلمة أمامهم ، والخوف داخل قلوبهم • كانوا صفا واحدا ، ما بعد الهنيهة والهنيهة يخرج أحدهم • تجمعوا ، الأول خلف الآخر والكل نحو القصر •

سألهم المنادى :

(لمـــاذا ؟) •

قـــالوا :

(نعترف لمولانا الملك) قالوها بصوت واحد •

(بمـــاذا) قالها الرجل ذهولا •

تخالطت أصواتهم وامتزجت •• وقالوا :

(بكل شيء ، بكل شيء ، حققوا لنا أمنية أخيرة ، قبل أن يدهمنا الطاعون) •

هرول الملك مستفسرا • انه يرى نصف أهـــل المدينـــة حول أسوار القصر :

(ماذا يريدون يا وزيرى) ؟ •

الوزير بهدوء :

« الحضور بين يديك يا مولاى ، لكل منهم طلبه » •

الملك جلس على الأريكة ، وأمامه النارجيلة ينفث دخانها بعصبية وقلق ، وزيره واقف يتــابع ، وما زالت عينــا الصبى تسأل ولسانه يلوك الصمت .

صاح كبير حراس القصر ... (الأول) .

دخل أحدهم ، قدم فروض الطاعة والولاء ... ثم بكى بكاء مريرا وقال :

« آعترف :

أعترف عن نفسى وجماعة من حولى ، دبرنا أمرنا لسرقة نذور المسجد الوحيد لمدينتنا » .

تابعه الثانى كانت سيدة وقور ، يبدو عليهــا وفرة المــال والصحة ، كلها فتنة وجمال ، بهدوء نطقت :

(خنت زوجى مع الخادم ، أحد العبيد فى قصرى) .

شيخ شيوخ التجار يسرع الخطى ، منثنى الظهر ، يحمل فوق يديه صندوقا أســود . فتحــه بيد مرتعشة ، أخرج زادا وزوادا من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان .

الملك دهشــا :

(وأنت أيضا .. ماذا دهاك ؟) .

بصوت متهدج ، مرتعش الشفتين .. قال :

« كله حرام فى حرام .. سرقته من قوت أهل المدينــة ، أقدمه لك قبل أن يهلكنا الطاعون » .

الرابع لم ينتظر دوره ، دخل ، قبل الأعتاب الملكية . انه شاعر المدينة ، وصاحب أجمل قصائد المديح الملكى ، وأشهر شعراء القصر .

« وأنت أيضا يا شاعرنا الكبير .. هات ما عندك » .

لاحقه الشـــاعر :

(جئت أحرق القصائد من يدرى لعل الطــاعون يأخذنى منك أو يأخذك منا فلا تجدى الكلمات .. والقصائد الصفراء . سوف أذهب حتى السور ، أضع فيه عرقى وجهدى حتى صياح الديك ، وحتى لا يأتينا الطاعون من الخلف) .

وهرول الى الخارج بغير كلمة واحدة .

جاء خامس وسادس وعاشر ... بل الألف وما بعد الألف، بعضهم جاء يلقى بماله ، وآخر يلقى بولده ، وثالث بأوراق لم تفض بعد ...

الملك تململ ، الوزير شرد مبتسما ينظر الى عينى الصبى المتسائلة الا أن لسانه لم يعد قادرا على الصمت .. !

لأننى وديع وداعة خنزير يتأمل أنثاه يمتطيها ذكر •• خنزير مثلى ، قررت أن أمتطى أول أنثى تقابلنى فور اجتيازى بوابة السجن العتيق •

شغلتنى الفكرة طيلة ساعات الليل • باغتتنى كف قوية لذلك الجلف المتثائب الكريه الرائحة ، حارس النوبة المسائية• دهشـــت لأنى لم أسمع أزيز بوابة زنزانتى المظلمة • الرجـــل أحاطنى بعناية خاصة وان لم يتكلم كثيرا •

حرك شفتيه قائلا :

« سوف نرتاح من همك هذا الصباح » •

لم أفرح كثيرا ، ربما فى آخر لحظـــة يعكســـون قرارهم ويحرمونى من أحضان أنثى أضمها بشدة ، أكفر على كتفيهـــا عن آثامى التى ما زلت أظن أننى لم أقترفها •• لم أقتله !

عندما قابلنى فى الظلمة وسط الطريق الجـانبى الساكن طلب منى أن أخلع حذائى حتى أنتهى من اجتياز الشـارع • حاولت سماع تفسيره ، لم ينطق ولم أنفذ ، كأنى خيبت ظنه . سرقت حلمه . انداح فى ظلى ، التصق بلحمى حتى شككت فى رجولته • لم ينزح عن أنفى ، فقط قال :

« ولـــو ••• »

شعرت بشىء من النجاح ، أن جعلته يتريث فى الأمر ، بقى أن يعرف قدرى• هالنى فقدان بطاقتى العائلية •• هويتى وسندى الرسمى • لم يتسلكنى اليأس ، بهدوء الوديع الواثق خاطبته :

« أرجو أن تهدأ ، وتقص على ما يشغلك ، لعلنى أنجح فى اقناعك » •

لم يدعنى أتابع ، صرخ فى وجهى مكررا :

« ولـــو ••• »

وان زاد هذه المرة بكلمة واحدة :

« ســأقتلك » •

لمحت بريقا غامضـا لشىء ما فى يده ، أحسست بنصـل حاد •• تقهقرت ، اندغمت تحت جلدى ، قلت :

« لا تتسرع •• لا تقتلنى »

لم كن أدرى أننى قوى الى هذا الحد ، الحد الذى تملكنى فيه غل شياطين الكون كله • نجحت ، نزعت السكين من كفه ، عثرت على قبضتها الخشنة ، و •• وتضاءل البريق ، اختفى الهوينى كلما زججت بالسكين أكثر فى أحشاء بطنه الرخوة •

***

ولأننى ذكى ذكاء ذئب قبل لحظة انقضاض لم تحن ، قررت أن أظل مغمض العينين خلال خطواتى الأخيرة لمراسم الافراج عنى ، حتى اذا ما عبرت البوابة أنظر فأرى ويكون قرارى •

مكثت كثيرا بحجرة مكتب أمانات السجن • لدهشتى ألقوا بين ذراعى ملابس صيفية ، فقد دخلت بها السجن صيفا ونحن الآن فى منتصف طوبة • كما أعطونى ديوانا لشاعر لم أعد أتذكره •• ربما يكون من مشاهير الدنيا الآن •

البرد يلبسنى العجز ، لمح الحراس نتوءات وليدة على جلدى المرتعش وقد بدا مقددا مجعدا جافا • قالوا :

« اشتر هذا المعطف الميرى البالى مقابل مصروفك المدخر يا سجين » •

وافقتهم ، اندفعت من بين الجدران الرطبة اللزجة ، ودفء كاذب أستشعره فور اجتيازى البوابة السوداء الصدئة ••

« ••• حـالا ستكون لى أنثى ، أول أنثى أقابلهـا ••
أمتطى نعومة جلدها ،

أغوص فى ليونة لحمها •• وألهث »

خطوت الخطوة ، تحفزت للحظة انفراج جفونى ، لرؤية الأنثى المنتظرة بسرعة لمح البصر أفرجتها ••

« يا ليتنى ما فعلت »

غامت الأشياء أمامى ومن حولى ، بريق غاص فى بؤرة عينى ، دعكتها وانتظرت ، بهدوء رفعت رأسى فكانت المفاجأة•• أنثيان لا أنثى واحدة • بائعة أحـلام غجرية تعبث بسبابتها فى حبيبات الرمل •• هيفاء بغير نحافة ، لامعة البشرة ، سمراء وقد أحرقتهـا أشـعة الشمس وفتاة بيضـاء تجلس أمامها ، على استحياء توشوش نقوش ذكور الودع وتبثهـا حرارة شفتيها المكتنزة ، ترتدى ملابس افرنجية ونظارة شمسية ••

« ••• أيهما أختار اذن ، أكثر ما يشعرنى بعجزى لحظة اختيـار » •

أما وقد قتل الرجل ، فشلت فى محضر الشرطة أن أبرر أسباب قتله ، وأننى كنت فى حالة دفاع عن النفس • فشلت ثانية مع المحقق فى سرد كل ما جرى ، وفى اثبات هويتى أخيرا •

لم أكن أدرى أننى وسيم جذاب ، ولست بحاجـة الى ذكائى بحيث لفت نظر الاثنين ، انشغلا بى ، ما عادا يتابعان همهما ، تقـدمت بثبات نحوهما وأنا لا أدرى ماذا سيحدث حـالا .

***

والأننى ــ بالرغم من حبسى ــ رشيق ، خفيف الحـركة كرقصات أخطبوط يتأهب للمقابلة وربما للفرار . قررت أن أتقدم وأخطو خطوات لا خيار لى معها . شغلنى الخـلاء من حولى ومن أمامى الا من طرقات غير ممهدة ، ممدودة بلا نهاية ، وأسوار السجن من خلفى عالية غير مبالية ، ان كنت خلفهـا وقد أصبحت أمامها .

وتقدمت ، سألتهما ، أن تقرأ الغجرية طالعى ، أن تفسر الحسناء مقولتها .

قرأت ، قالت :

« ... ولكن الأمر الذى كنت أريد أن أحدثك عنه لم يعد ذا أهمية لأننى رأيت سحنتك » .

... لم أفهم . تابعت :

« ... لأننى قرأت ما فى محجرى عينيك المدغمستين » .

... لم أستفسر . تابعت :

« ولأنني طالعك » •

لاحقتها الحسناء ، قالت :

« ولأنني أعشق أيامي التالية وأعشق أحلامي » •

لم أتابع أكثر ، لعنت البرودة وأيام طوبة • تحسست معطفي •• لم أجده • دهشت أن أسرق دون أن أدري •

انزويت بجوار صخرة ، ضممت فخذي نحو بطني . عقدت كفي حول عظمتي ساقي ، أفرجت ما بين ركبتي ، دسست برأسي حتى أذني شممت رائحة عفنة منبعثة من بين فخذي • لم أحتمل أكثر ، رفعت رأسي ، أزحت جفوني عن كرتي عيني •• لم أجدهما •

صرخت :

« أنا بحاجة اليكما ، الى أحداكما ، الى أنثى •• حلم أحققه » •

بدا لي ذلك الجلف المتثائب الكريه الرائحة يوقظني ، بالرغم من صوت أزيز بوابة الزنزانة المظلمة ، لم أنتبه ، عمدا لم أنظر اليه ، دغمت رأسي بين ركبتي ثانية •

لم أكن أدري أنني وديع ، ذكي ، ورشيق الى الحد الذي جعلني أستسلم للقبض •

التعـــــلق

تعلق الطفل الصغير باللعبة الكبيرة خلف زجـاج الفترينة، كما تعلق بكف أبيـه • تعلق الأب بمشهد الذبابة الحبيسة ، الحائرة ، الخائرة القوى ، تتلاطم بين الأشياء العملاقة خلف الزجـاج •

الطفل نزع كفه وأشار بكلتا يديه الى اللعبـة • الأب تحرر من قبضة الصغير ، ظل يضرب بأصابعه العشر على الزجاج، عله ينجح فى تحرير الذبابة •• أن يرشدها الى ثغرة صغيرة تخرج منها •

بدأ الطفل فى الصراخ بينما تعلق الأب بكليته أكثر بمشهد الذبابة التى هى حبيسة •• ما زالت !!!

النشـــوى

وتنتابنى النشوى نادرا ، فأخشى التعبير عنهـا ، لعلهـا تخفى كربه !

قررت متحديا أن أعيش نشوتى هذه المرة •

خرجت الى السوق لأبتاع مأكلا أشتهيه ، سرقنى البائع، بهدوء المنتشى حاولت أن أوضح له الأمر ، بنظرات غامضـة سحب منى ما اشتهيت ، رماه بعيدا ، ثم اندار الى غيرى •

عدلت فكرتى ، أن أعيش نشـوتى بالسير على شـاطىء النهر • أحدهم التصق بظلى ، افتعل مشاجرة معى ، لمـا كنت منتبها له ، صرخت فى وجهه •• ضربتـه •• ونجحت حاولت الفرار قبل أن ينال من رقبتى ، سقطت فى حفرة عميقة ، حضروها بلا ضرورة •• لعلها من أجلى •

عدلت فكرتى ، كففت المحاولة •• والانتشاء !!

اغمـــاءة

متصلبا أمام شاشة التليفزيون تمضى به الدقائق والساعات، يحرص على سماع كل نشرات الأخبار العربية والأجنبيـــة ، ولا يجيد أية لغة أجنبية .

اكتشف أن ما يقـــال ويعرض فى الأخـــيرة غير تلك التى يسمعها بالعربية .

بالخبرة عرفها ، من الصور التى يتابعها بدقة ومن بعض الأرقام التى يحفظها بالافرنجية .

تشغله الحقيقة ، يتصفح الجرائد قبل النوم ، يقرأ أخبارا أخرى وأرقاما غير السابقتين .

ينام عندما يغلبه الاجهاد فيما يشبه الاغماءة .

تجهم وهو يقول لأبيه : « أخرج من البيت » • العجوز الملتصق بركن الحجرة ، المتشرنق فى جلبابه الدبلان ، أخيرا جد رفع رأســه من بين ركبتيه • ولجت نظرة تائهة من خــلال عينيه المدغمستين فى محــاولة لرؤية فتوة ابنه الطافحــة من لسانه •

انفعل الابن أكثر ، قــال : « ســوف أتزوج ولن يسعنا البيت » • عاد الأب ثانيــة الى ما بين ركبتيه ، تكور ، ولم ينطق • اندفع الابن نحوه صارخا ، فشل أن يرفع رأس الأب وأن يستنطقه • ولــا شعر الابن بالرجفة الغريبة التى قبضت على أطرافه فور ملامسة الأب •• تساءل دون أن ينطق :

« الشتاء بارد هذا العام ؟ أكيد !! »

لمـــاذا ؟ !

أرجوك يا الهى أقتل هذا الرجل .. تكفيه عضـة كلب مسعور ، قبل أن يجىء دورى فى مقاتلته .

عقره المسعور ، دهشت ، شغلنى الخبر ، فور سماعه عدوت نحوه ، وجدته يحتضر ، سألته :

« هل تدرك معنى تلك الفعلة ، انها غضبة الكلاب كلها . كيف ستواجه نتائج ما كان منك ؟ »

ببساطة وانهيار قال :

« لن أواجهها ، انتهى زمن المواجهة » .

وجدت من السذاجة افهامه ، خرجت والسؤال يملؤنى :

« لمــاذا .. لمــاذا كل شىء ؟ »

كل الأبواب مسدودة .. لا مفر !!

الليـــــل

رأسى فوق الوسادة أو تحتها .

قــدماى ، فوق طريق الجبانة .. المظــلم ، كان يغشى بالألسن اللواكة . ساقاى ، تعدوان الى بقعة ضـــوء تخبو ، تسرعان قبل أن يتلاشى . العرق ، يكسو الجلد المحبب بالبثور والشعر المقذوف منه .

فى ظنى أن قوة ما عاونتنى حتى أفرجت عينى . حدقت مليــا فى الجــدران الوطيئة الضيقة ، ورائحة الصــبار تغزو منخــارى .

صرخت وبشدة ، تلقفتنى زوجتى بين ذراعيها ، دست بين شفتى كوبا من المياه الباردة ... ارتويت .

ثانية ارتميت ، ولا أدرى أكانت رأسى فوق الوســادة أم تحتهــا !!

أهـــــلا

استقبله مصافحا ، قبل أن يجالسه وضـــع براد الشاى على النار • سرعان ما انشغلا فى مشاهدة برنامج المصـــارعة على شاشة التليفزيون • تذكر الشاى ، صبه فى كوبين وهو ما زال يتابع ، كانت أوراق الشـــاى الســـوداء تصعد وتهبط خلف الزجـــاج المعتم •

انقضت الثوانى والدقائق ، برد الشاى ، انتهى البرنامج• أدار وجهه الى جليسه قائلا :

« أهـــــلا »

الـــــدم

الرجل الأول دفع الباب من خلفه بشدة حتى تهشم زجاجه بعد مشاجرة مع زوجته على المبلغ الضئيل الذى تركه لها هذا الصباح لتنفق منه •

الرجل الثانى مبكرا استبدل بكالون الباب آخر بعد أن أمضى الليلة الفائتة فى شجار مع أناس لا يعرفهم والأسـباب لم يفهمهـا ، فقط وضعوا أمامه أموالا كثيرة لكى يتنـازل عن شـقته !

الرجل الأول والثـانى متواجهان ، وهمـا يعبران بحر الشارع الطويل العريض • كتفاهما ارتطمتا ، رقبتاهما التوتا ، رأساهما انحرفا ، عيونهما احتقنت قذفت شررا •• تلاكما ، تصـارعا • بعد فترة ظلا ينظران الى بعضهما دون ما حركة ، يلهثان فى صمت • الأرض تحتهما باتت بلا أتربة •• فقط بقعة دم كبيرة •• ولم يعرف المـارة من أيهما أم كليهما ؟ !

المحـــــاولة

ربما أصمد .. اذا نجحت لن أكون مع الفاشلين ، ترى كيف ؟

سويت الأبواب والنوافذ بالجدران ، أكلت نفسى ، شربت من كوعى العرق المنتوح منى .

انقضى الزمن البليد — يوم كامل — فى الصباح . تسللت من جلدى ، فتحت النوافذ ، أكلت طبق الفول بالزيت الحـار ، شربت الشاى الصعيدى ، أحكمت الأبواب خلفى وأنا بالخارج. اندفعت الى الشارع ، ذابت خطواتى بين أقدامهم ، شعرت بضآلتى وبقلة حيلتى .. ثانية حدث .

ولكنى حاولت !

العتمـــة

يشكو من العتمة كلما دخل مكانا مغلقا .

يدخل منزله فلا يرى الا أسنان زوجته البيضاء ويسمع لسانها يلوك كثيرا . يذهب الديوان لا يرى الا أوراقا بيضاء تبدو كأنها معلقة فى فراغ الحجرة ويشعر بالطنين من صوت زملائه . يقذفونه الى داخل الجمعية الاستهلاكية لا يرى شيئا ، ربما بياض شكائر الأرز البعيدة « طشاش » .

جلس الى الطبيب الذى قال له :

« اننا نشعر بتلك الحالة عندما تضيق حدقة العين اذا ما انتقلنا من النور الى الظلمة » فكر مليا فى الأمر ، اكتشف حلا .. أن يظل مغمض العينين ثم يدخل منزله ، عمله ، أو الى الجمعية الاستهلاكية حتى لا يشعر بالعتمة ... لم ينجح أيضا !!

الأمـــــل

ينافسنى فى صباح بعض الأيام • يندفع نحوى ، دون أن ينبس يزيح الصحيفة من أمامى ، يبحلق فى الأرقام بتؤدة •

بمرور الوقت لم يعد يقضى زمنا طويلا ، سرعان ما يتأكد أنه لم يربح فى السحب الدورى كحـــالى ، ولم أعد أغضب منه ولا أشترى الصحيفة •

ســــرقة

تركت عملى وأنا أظن أن شيئا ما قد حدث • بعد طول تفكير بان لى الأمر ، يا للكارثة سرقت •

عدت الى منزلى ولم أنبس ، سألتنى زوجتى فلم أجب • أسرعت الى حافظة النقود •• وجدتها ، الى أوراق فى الحقيبة•• وجدتها ، الى ملابسى الداخلية لم تجدها •

ظننت أننى أتخفف بسبب الحر ، فارتمت فى أحضــانى تعبث فى شعر صــدرى ، لم أحرك ساكنا •

« ماذا دهــاك ؟ ! »

قالتها وهى تغمز بجانب عينها اليمنى •

قــلت :

« سرقونى » .

ظننتنى أتفكه فضحكت . ولما طال غمزها . ولمزها ، وعبثها ، واجابتى الأخيرة ..

قـــالت :

« أكيد ... حدث » .

الحقيقـــة

النقطـة فوق السطح الكروى تصنع زاويـة قائمـة . حقيقة تقلقنى حملتها ، سرت بهـا بينهم فى الصمت ضـائع ، يركلونى ، يلكزونى .. أضحك ، أبكى ، يغشى على . نعـال أحذيتهم ترتاح فى محجرى عينى ، ما زلت صامدا .

أقولها ، أكررها .. لنفسى ، لهم ، للأفلاك والهوام ، لكل الأشـياء . رعدة قبضت على مفاصـل عظـامى . يا الهى .

وأنا تحت أوحالهم رأيتهم عمالقـة متعملقين . كثرتهم سحقتنى . أقاوم فى التيه رغبتى أن أحيـا .. وأقول . حروف الكلمات غافلتنى ، حاكمتنى .

صاح الحاجب ، تقدمت ، ركعت وساعداى أمامى ككلب : « أعترف .. أعترف » شهود الاثبات « الكاف والنون » ..

قالوا : « انه لا يقول الحق » •• « لا ينطقنا صادقا الا وهو سكير مخدر » •

رئيس المحكمة مشيرا : « تهمة جديدة » • أرد بلسان مدلى : « اعترف » • الحكم بعد المداولة :

« انه فى يوم تاريخه حكمنا بالاعدام رجما بحروف الكلمات المكسورة » •

ساعـــدونى

ما حدث جعلنى أسعى الى رحم أمى • برغبتينا نجحت • ظلمات ثلاث تحتوينى ، دم من سرتى يمر بكبدى ، بات لسانى عضوا عاجزا • سعدت فى أول الأمر •

أهلى لم يحاربوا أمى ، الى ما فوق بطنها المنتفخ يرمون حواسهم •• يسألون ، أجيب :

« فى الظلام يا سادة ترى كل الأشياء سواء » ، تذكرت أياما خلت ، أثقال تنوء عن حملها منكباى •• حد السيف لامع ، عيون الجـلاد ، رأس الحية ، حروف الطباعة الســوداء ، غربة الصحراء ، الحرباء ، أشـــواك التين •• ثمرة التين دائمـا حلوة ، وأشواق الحب •

بدأت أسرى عن نفسى ، أمارس لعبة الرسم فى الهواء ، اعتمدت على شىء رهيب •• الخيال • عيسى بن مريم بغير أب ،

الرب ترك فى رحم البتول كلمة باسم ، أنا الآن بلا اسم وبلا رسم ، تساءلت :

« الى متى سأظل هكذا •• وكيف ؟ ! » مللت حالى •

بات السؤال : « كيف سيكون المخاض » ؟ أمى شكت حالها لسيدات القرية • لا جواب • سألونى الحيلة • أقول ويسجلون : « أنا لم أكن نطفة فمضغة فعلقة فعظاما مكسوة •• أنا حمل غير عادى •• لذا سيكون ميلادى غير عادى ، فقط عندما يحين الحين •• ساعدونى » •

اغتصـــاب

آه .. اندفع الريح فكشــف عــورة الأنثى الخجلى . احتقنت وجنتاها ، أسرعت تعدو ، فشل العدو فى سترها .

بلى .. لم تفلح وقد جلست الى الأرض ، ملابسها استوت بجوارها ، باتت عارية ، عجزت كفاها فى سترها .

أف .. امتزجــت بالتراب المبــلل ، بالطين ، ألصــقت فخذيها ، لوت جذعها ، أشاحت برأسها ، تململت ، حاولت ، عجزت محاولتها فى سترها .

ما زالــت ....

شهقة عميقة ، زفرة طويلة ، سمعتها من خلف الجدران .

هــدأت الريح ، هوت .

نهضت الأنثى الخجلى الشاحبة ... حاولت العدو . كنت ألهث وأنا أعض عقلة سبابتى اليمنى ثم اليسرى !!

توافـــق

فى الشوارع المزدحمة سائقو السيارات والمرتجلون . لا يلتزمون بالاشارات ، يندفعون فى كل اتجاه .. لا يعبأون بصياح جندى المرور . لأنهم جميعا كذلك تحقق التوافق بينهم .

ولما كنت أقود سيارتى فى الشوارع ذاتها فشلت فى عبورها ، عاكستنى المشاة . عدت مرتجلا .. فشلت أيضا ، عاكستنى السيارات ، فضحكت حتى دمعت عيناى .

المباغتـــة

كنا صامتين عاكفين على ما فى رءوسنا .

ما أن انحرفنا من الشـــارع الكبير الى الشارع الجانبى حتى باغتتنا فتاة جميلة ندية بالتواءة واحدة ثم اختفت .

قـلت :

« انها تعانى من آلام مبرحة » .

قال رفيقى :

« بل كانت ترقص » .

قال ثالثنا :

« أكيد لا هذا ولا ذاك » ... وصمت .

انتظرنا أن ينطق ، لم يفعل ولم نسأل . عدنا الى حالتنا ، عاكفين على ما فى رءوسنا .

شــىء مــا

التقت أعيننا بعد فراق فى الشارع الطويل المزدحم •

عرفتنى ، خلعت نظارتهـا الشمسية ، اشرأبت ، أعادت تنسيق شعيرات هائجة فوق جبهتها وحكت أرنبة أنفهـا •• حركتها التى أعرفها اذا ما انشغلت بشىء ما •

ما أن اقترب جسدانا أكثر حتى أعادت النظارة ، استقامت الرقبة ، أهاجت الشعيرات على الجبهة ، ثم نظرت أمامهـا ولم تحك أرنبة أنفها ، يبدو أنها لم تعد مشغولة بشىء •

الاتهــــام

تناثرت بقع الدم ، انقضت على وجوهنا وأكفنا العارية ، وبالرغم من الزحام تسربل الاحمرار على الأرض .

صرخنا فى بعضنا : « منك » ، « هو أنت » ، « ربما ذاك »

ألسنتنا تحركت بالنفى قبل أن تتحسس أوردتنا وقد تلاشت تحت جلودنا الصفراء .

لم نهدأ ولم نكف استفسارا حتى بات السؤال اتهاما ، علينا أن ننفيه عن أنفسنا بالقسم بالطلاق ثلاثة :

« ليس منى ! »

استغاثة

جريت الى بحر الشارع ، وقفت فى وسطه ، صرخت :

« آه »

سمعت صوتا آخر بتشكيل مختلف للحرفين ، الألف والهاء بالكسرة للألف فقط !

فى اليوم الأول ارتبكت السيارات ، المسرعة نحوى ، وقفت ثم عاودت العدو ، انتبه المارة من الرجال والنساء ثم عاودوا السير .

فى اليوم الثانى . لم ترتبك السيارات ، وجدت الأطفال والصبية فى انتظارى يرددون .. صياحهم .

فى اليوم الثالث .. وقف الجميع من حولى ، كلهم رددوا مقولة واحدة :

« هذا الرجل مسلى ! »

ولأنهم يومها وفى الأيام التالية لم يسألونى .. لماذا ؟
لم أبح ولم أكف أيضا عن قولة :

« آه »

العنـــف

باغتنى الموظف القديم وأنا أستلم عملى فى اليوم الأول :

« يجب أن تكون عنيفا »

ســألته :

« كيــف ؟ »

رمى بسمة من شدة سذاجتى وقال :

« أن تفكر فى مصلحتك ، ألا تثق بهم ، أن تعرف لون حذاء رؤسائك .. كل أحذيتهم » .

قــلت :

« صدقت ، يا له من عنف »

الحــــرب

قــال :

ـ هل هذه حربك يا صديقى ؟

قلت :

ـ نعم ، لن أكف عن الاستكشاف •

ـ قد تطول •

ـ العبرة بالنهاية •

ـ قد تجد نفسك عند نقطة البداية •

ـ وقتها أكون تسلحت ضد عدوى جيدا •

لوى شفتيه وذهب •

قبل أن تتهيأ للكــلام بدت لى أنهــا لا يمكن أن تكون ودودة • زملائى الرجال انشغلوا بها من فرط أناقتها ، والسيدات اهتممن أيضــا ولكن فى صمت متحفز • سرعان ما بدت كقطة فزعة سوف تدهمها سيارة ، انها تعــانى من مشــكلة ما • بعضهم أشار لها أن تجلس الى ، فعلت •

بدأت أستخرج لها الأوراق المطلوبة ، ولمــا وثقت وتأكدت فتحت حقيبتهــا أخرجت مرآة صــغيرة ، بدأت تصفف بعض الشعيرات المصبوغة الهائجة ، تهذب شعيرات الحاجب الأيمن وهى ترمقنى فى زاويــة المرآة العليــا ، رميت نظرة متعجــلة نحوها ، تأكد لى ما شعرت به سلفا ، انها ســيدة غير ودودة البتــة !

الســـــواد

علقت شريطا أسود فوق كل أربطة العنق ، سرت بها فى الشـــوارع والحـــوارى والأزقـــة ، وعشـــت بها فى الدروب والعطوف .

من يرانى لا يسألنى ولا أتكلم .

ولمـــا هبشنى قط ذات مساء كنت ألتهم شـــطيرة الجبن وحدى فى أحد المواقع المظلمة . عدوت خلف بريق العينين حتى خرجت الى الشارع المضىء ، وجدته سعيدا مع وليفته ، يأكلان شـــطيرتى .

فكففت العدو ، وخلعت الشريط الأسود من فوق كل أربطة العنـــق .

الوســـــيلة

تعلمت أن أكف عن القلق وأحب الرشـق بحبـات اللب الأســمر .

سمونى فى العمل بـ « أبو لبة » ، أقلقهم صـوت تحطيم شقى اللبة المنتظم السريع .

دعتنى زوجتى بـ « أبو ريحة » ، تعطرنى فور دخولى عليها ، لعلها تعفى نفسها من رائحـة اللب المحترق المندفعة مع زفيرى .. لا تفلح ، فتتركنى ، أتلفح البرد وحدى .

أحاطونى فى المقهى ، قيدونى ، انتشلوا كل اللب منى ، ألقوه مع القمامة ، رفضت وسيلتهم ، جمعت عمدا الحجارة ، رشقتهم فردا فردا ، فانزووا مع غضبهم بعيدا عنى !

من جديد بدأت أحطم شقى اللبة ، أرشقهم بقشـورها وبجوارى كومة الحجارة .. وسيلتى .

فـــكرة

وقتما أنتهى من كل شىء ، ســوف أعود الى منزلى ، أعتلى سور لسطح العلوى ثم ألقى بنفسى •

سأفعل ذلك حتما ، يبقى فقط ســداد ديونى ، ومصالحة كل من تشاجرت معهم •

توجهت الى البنك ، عجزت عن سداد فوائد ديونى • ذهبت الى حبيبتى ، أصرت لن تصالحنى قبل أن أوفر الشقة بالأثــاث •

عدت ، قلت ، لو ألقيت بنفسى ومت موتا ستكون ديونى وخصوماتى سببا فى ازعاجى بعد الممات •

أجلت الفــكرة !

المـــــرآة

بالرغم أننى لست طبيبا •• يشكون لى أوجـــاع قلوبهم ، ولا اقتصاديا •• يتوجعون لى ارتفاع الأسعار ، ولا اجتماعيا •• يبكون لى اختفاء بناتهم الجميلة • أسمع لهم ، أهز رأسى صامتا ، يفهمون أشياء لم أكن أعنيها ، ينهضون شاكرين لى فضلا !

بانقضاء الزمن وجدتنى كل مساء ، بعد أن يتركونى • أذهب الى المرآة ، أتأمل سحنتى • اكتشفت •• الحفور عند زاويتى العينين ، الشيب يغزو الشـــارب الأســـود والجفون الساقطة على النن تجعلنى أبحلق فيها أحاول الرؤية حتى أرى !

أطلت النظر فى المرآة الليـــلة •• لعل وعسى • أبدا لم أسمع اجابة عن أسئلة لم أنطقها وآلام لم أبح بها •• فبكيت !!

اســـــتغراق

قالت زوجتى قبل أن أضــع الوسادة فوق رأسى « دبر رأسك يا أبو صيام ، المرتب خلص » .

قالتها ثم نامت . لم أجد تدبيرا ، حاولت النوم ، ما بين اليقظة والكرى انتبهت على شىء ما أيقظتها ، سألتها ان كانت تعرف مكان مسجد سيدى الغريب ، « انه دعانى » .. هزت كتفيها ثم عاودت النوم .

سألت ، عرفت ، ذهبت الازدحام يزداد كلما اقتربت من الساحة الضيقة أمام المسجد المتلألىء . أصبحت فى قلب الضجيج مشاركا ومن صناعه .. بالصياح الى بائع العناب ، بارتيــاد كل شىء فى الساحة ، يضرب البندقية فى الدوائر السوداء التى لم أصبها أبدا ، بالتفاف حول حلقة الذكر .

بدأت أميل برأسى مع اشارات الرجل المنتصب وســط الحلقة ، انتظمت ايماءاتى مع التواءات رقابهم . أخيرا عرفت

ما ينطقونه ، نبست شفتاى ، وجدت نفسى داخل الحلقـة أنبس وأومىء .

عدت الى منزلى فى ساعة متأخرة من الليل ، قبل أن أضـع الوســادة فوق رأسى ، قالت زوجتى :

« دبرت رأسك » ، فضحكت ... حتى أصابتها الحيرة .

ليلتها نمت حتى الصباح ولم تنم زوجتى !!

الهويـــة

يبدو لى أن مجيئى الى هذا العالم ، المدينـــة ، الحـــارة ، الغرفة السفلية وحدى ... كان من الأخطاء العظيمة .

كلما سرت فى المدينة وحدى .. اذا ما سعيت لاستخراج مستند لا داعى له .. عندما أحـــاول الفرار من ظلمـــة غرفتى الرطبة الى الشمس ، قبل أن تبعث الدفء فى أوصالى ، وفى كل الأحوال يطالبونى باثبات هويتى وأنا بلا هوية !

أعود مضطرا ، تستقبلنى روائح البيوتات الكريهـــة ، أغوص فى أتربة الحـــارة المخلوطة ببراز الصغـــار وبصـــاق الكبار ، الظلمة تأكل الطمأنينة من قلبى ، وأنا وحدى ... أصرخ لجسدى المتهالك ، تسمعنى أذنى أقول :

« نعم كان من الأخطاء العظيمة » .

الشــــواء

ذهبت فى رمضان المــاضى مع صديقى الصائم الى المطعم ، ازدادت الحــركة الدءوب كلمــا اقتربت لحظــات فيها تنفلق السماء فلقين ، أبيض وأسود .

اقتربت سيدة متشقق جلد قفاها وكعبى قدميها الجافتين ، تحمل طفلا فوق كتفها الأيسر وعصــا غليظة تعلوها كرة نار بين أصــابع يدها اليمنى . اقتربت نحو صــديقى الحريص جدا الذى قال :

« اياك تلمسنى ... تنجسنى »

انتفض ، قبلها أصر أن يصف خطوات السيدة : ابتلعت جازا ، الشعلة نحو فمها ، تخرج نارا .

ما أن اقتربت منا رائحتها أصابتنا بالقشعريرة ، رائحــة اللحم المشوى الفواحة من الداخل ... ومدفع الافطار ما زلنا فى انتظــاره .

الولـــــد

رفع الطبيب عويناته وهو يسـود شاشة الجهاز الحديث جدا ، قال :

« الجنين ولد »

تمنى الأب لو يقذفونـه ويعبرون الى أيامه القادمـة . رغبت الأم لو فتحوا بطنها لتلد مبكرا . نهضـا وشكراه . خرجـا .

قبل أن يعبرا الشارع المزدحم ، اندفع الزوج حتى وقفت السيارات أمام ذلك الذى يلقى بجسده أمام عجـلاتهم التى لا تعى مقدار فرحته فعبرت الأم وهى تسير الهوينى عمدا ، ظلا هكذا الأربعة أشهر تالية .

لمـا حان ميعاد المخاض ، جلس الزوج « أبو الولد » أمام

كشك التوليد ينفث دخـان سجائره • غابت الأم بالداخل • بدأ يقلق ، طال انتظاره • أناس عديدون يدخلون ومعهم أجهزة جديدة •• يخرجون بأشياء لم يعرف كنهها •

راودته فكرة غلبت كل الأفكار ، تفحصها جيدا وعلى كل جوانبها ، « ربما يكون المولود ليس ولدا •• »

الزوجـــــة

طوله المتميز يكسبه الهيبة فتخشاه الناس ويتحاشونه ، لم يكن يوما فى موقع الدفـاع عن النفس فبدا طيب القلب . يساعده ذلك الطول على ألا يتنفس من روائحهم الكريهة داخل الأتوبيس ، فرأســه دائما أعلى . اذا ما وقف فى طابور الجمعية الاستهلاكية يخفى من خلفه ويلفت نظر البائع عمن قبله فيبتاع بأسرع ممن معه وبأقل جهد ممــكن . تأكدت هــذه الميزات ويفتخر بها . يقصــها فيستمعون ويهزون رءوسهم اعجابا .. الا زوجته ، تقول كلمة واحدة :

« طيب ! » .

ذات مرة همست احدى زميلاته فى أذنه :

« يا لحظ زوجتك بك » .

انتبه على أمر كان غافله ، ظل طيلة فترة الغروب الى ما بعد منتصف الليل يفكر :

« لمـاذا تعاملنى زوجتى بهذا التجاهل المتعمد ؟ » •

عندما ذهب الى مرقده ، بحلق فى عينى الزوجة ـ شـبه العارية ـ المفتوحتين فى تحفز غامض لم يفهمه • انسحب كعادته الى ما بين وسادتين وقد أدار لها ظهره ، همس الى نفسـه بسؤال الصبيحة :

« ترى لمـاذا تقول لى دوما طيب ؟ ! »

التفوا حوله على شكل الدائرة ، فقبض على صـــدره • التصقوا الى بعضهم واكتنفوا ، قبض على صــدره أكثر وسقط على ركبتيه متوجعا • اقتربوا أكثر وتشـــابكوا ، ازداد فزعا وريبة • بأجسادهم صنعوا سياجا يصعب الفكاك منه الا من حلقة ضيقة فوق سمائه يخترقها بصيص من الضـــوء والأمل • أهبل الحـــارة اختفى النهار بطوله على غير عادته ، سألوه : « أين كنت يابن زبيدة ؟ » رفض البوح • تشككوا فى أمره • منهم من سمعه يتمتم بكلمـــات غامضة الى لحم صدره ، آخر شاهده يزيح الجلباب من على صـــدره ويبتسم ، فاحتاروا فى أمره • قـــالوا : « سرق سرقة يخفيهـــا » ، « بل فى الأمر سر يضمره » وأعلنها شيخ الحارة : « منذ متى لابن زبيدة سر ،

لن نتركه » • شعر بالاختناق والشلل أشار أنه كان فى المولد هذا الصباح •• لم يفهموا ولم يسر بأكثر • نجحوا فى تمزيق جلبابه ، نجح هو فى اخفاء بعض من لحم صدره • تكاثروا على عضديه •• انكشف الأمر ، وجدوه كتب « زبيدة » بالوشـم الأخضر على صدره هذا الصباح •

الرحيـــــل

اتنفض • لسعته بقايا سيجارة • تأمل جواز سفره • تجرع فنجانين من القهوة • تصفح الجريدة • عليه بالرحيل حالا الى أرض غريبة ولم يتعود الغربة ، فى كل مرة يعود فيها يقســم ألا يعيد الكرة ، ويكررها ، وشوق لحبيبة باق •

على أرض المطار القلق يشرنق الأشياء • الآخرون ينظرون اليه شزرا • كلهم أمامه لا أكثر من عينين واسعتين ولسان مدلى وخط من اللعاب المدمم ينزلق من طرفه ، امتلأ المكان باللعاب • المناضد الخشبية سبحت بجالسيها • طوفان بصاقهم مر •

« انه الطوفان يغرقنا » • ركل المقعد بقدمه : « لن أغرق ، لا أريد الموت فى بحر من الكلمـات • عنـدما أقرر الموت •• سوف أموت بطريقتى ! » •

جاء صوت آخر : « الطائرة حالا سوف تقلع » . فتح الحقيبة ، تأمل الدوائر البنفسجية على الصفحات .

حمل أشياءه ، تركهم وهم يقولون كلمات بلا معنى . قد يكون لها معنى لكنه لم يسمعهم !!

ســـــرعة

تعود السرعة منذ نشأته الأولى فى القرية •• يأكل بسرعة، يشرب بسرعة يتكلم بسرعة ، يتحرك بسرعة •

عندما أنهى دراسته ، وجد فى العمل خارج البلاد ربحية فى الفلوس أكثر •• استخرج جواز السفر بسرعة ، تزوج بسرعة، عمل هناك وأنجب بسرعة •

عاد بعد سنوات عديدة ، ذهب الى قريته ، أهلهـا لم يتعرفوا عليه وقد علت الشقوق سحنته والمشيب رأسه ، جلس بينهم يقص ويشدو برحلة كفاحه الطويلة السريعة •

ولمـا ذهبوا اليه من بعد ، لم يستقبلهم • استقدموا له أطباء القاهرة الكبار ، أما وقد فشلوا ، قالوا :

« لم يتحمل المرض ، مات بسرعة ! »

التـــــذكرة

كل الأشياء معدة للرحيل •• حقيبة الملابس ، جواز السفر الأوراق الخاصة وتذكرة السفر •

جلس فى الشرفة يحلق فى اللاشىء ، بدأت أنفاســه تلهث نبضات قلبه يسمعها بوضـــوح ، عيناه تنظران ولا ترى ، ساقاه يهزهزهما بعصبية لم يعهدها •

لمـــا انتهى من علبة سجائره •• فتح الحقيبة وأعـــاد ترتيب الملابس ، حفظ جواز السفر فى أحد الأدراج البعيدة ، كور كل الأوراق وصنع منها كرة كبيرة ، بدأ يدحرجها أعلى قدمه اليمنى ثم اليسرى •

هذه اللعب ، جلس ، لمح تذكرة السفر باقيـــة أمامه •• بحلق فيهـــا لفترة لم يحسبها ، ظل متأملا كل ســـمات الغلافة الخضراء المشقوقة حتى كانت لحظة غابت عن رؤيته والتذكرة ما زالت أمام عينيه • مسح عينيه • نام •

الخـــدعة

جسده الواهن اللين لا يتحمل كل ما سمعت عنه قالوا :

«عندما عجز عن رعاية أسرة أبيه المتوفى ، ســافر ، بعث أموالا وملابس وحدائد الا هو » •

طالت دهشتى وأنا أستلم مع بعضهم تلغرافا يأمرنا باستلام جثته ، فمال أحدهم الى رأسى ، قال :

« هل هى خدعة ، الرجل مات أم ولد » •

الظـــــل

منذ صباه أحب المسرح ، أول من يدخله وآخر من يخرج من بابه الخلفى . الليلة مضت سـنوات طويلة يؤدى الأدوار الثانوية . سأل ظله الملتصق بقدميه وهو وحده فى الشـارع الطويل :

« أليس كل من يعمل فى المسرحيـة بطل الشخصية التى يؤديهـا »

انسابت دمعة ساخنة ، شعر بدفء مسارها فوق وجنتيه ، رذاذات المطر مزقت عدستى نظارته الطبية والأشياء أمامه .

ما أن كفت السماء وتلاشت الأمطار ، انزوى فى مكان مظلم خفى وأخذ يبكى وقد تلاشى الظل الملتصق بقدميه .

الـــــوان

يعيش فى احدى مدن الصعيد الرمادية •• منذ الصغر يقف عند الضفة الخضراء الغربيـــة للنهر ، ويتأمل الضفة الصفراء الشرقيـــة •

ذات مرة قالوا له ، انها فى حاجة الى الأمل الأبيض • عبر النهر الفضى ، ألقى بحبات الذرة الذهبية والفول البنية • كبرت الحبوب وأثمرت •

عيون زرقاء متلصصة تابعتـــه ، اكتشفت الخضرة ، ظلت خلفه حتى ضبطته واقفا وسط الأخضرار •• فقالوا له :

« أخرج من الأرض » •

ســـألهم : لمـــاذا ؟ !!

قـــالوا :

« لأنها من أملاك الحكومة ! » .

ولأنه مواطن ملتزم ، نفذ الأوامر صاغرا .

فى صباح يوم بعيد تال خرج الى شاطىء النهر ، أطل على الضفة الشرقية ، تساءل :

« الصفرة كست المكان ثانية ، أين الخضرة ؟ !! »

البـــاب

ما أن تقهقرت سرعة الأتوبيس عند مدخل الموقف العام حتى اندفعت الأجســاد نحو البــاب • بالداخــل على أمــل الخروج ، من بالخارج على أمل الدخول • سيدة عجوز ريفية ، مغضونة الوجه والكفين ، ترتدى الحداد ، جهزت نفسها للنزول بالوقوف أمام الباب وبالدعــاء أن تهبط بسلام • قبل أن تهم بهبوط الدرجــة الأولى للسلم كان فى مواجهتها مندفعــا من الخارج ، شاب يلهث • رمقته العجوز ، بنظرة معاتبة قالت :

« ما عندك صبر ؟ »

رد ببساطة وهو ما زال يلهث دون أن ينظر اليها مندفعــا الى الداخــل سعيدا بنجــاحه أن جلس على مقعدها •• الذى كان ••• وقال :

« لا » •

الحليب

خبر أسرار البيطرة ومعاملة البهائم حتى تلك التى ترفس أثناء الحلب • تعود فى كل مرة يعود فيها الى زوجته ، يقص على مسامعها انتصاراته ثم يضطجع آمرا بتجهيز كوب الشاى الثقيل •

اليوم جلس حزينا بعد أن فشل فى حلب تلك البهيمة وقد رفسته • بعد شردة حزينة اضطجع آمرا بكوب الشاى الثقيل •• لم ترد عليه ، ادعت انشغالها بتلك الدجاجة الشاردة •

نهض ، قبض على رأس البهيمة ، لوى رقبتها ، سحب السكين الحادة النصل ، مر بها على وريدى الرقبة •• ذبحها •

فورا عاد الى زوجته ، اضطجع ، أمر بكوب الشاى الثقيل • هذه المرة ردت عليه قائلة :

« تحبه سادة أم بالحليب ؟ !! » •

النبــــوءة

قال المنجم نبوءته ومضى : « ان أسوأ ما يمكن أن يحدث لم يحدث بعد » •

ظللت لسنوات طويلة أسأله • عندما فقدت عزيزا لدى • قال أبدا ليس هو • هلكت أموالى فى مغامرة ذكية ، أكد •• مكررا رأيه •

أمد الزمن أيامه ، فخرجت الى الناس أسألهم :

« يا أهل الله ، ان أسوأ ما يمكن أن يحدث لم يحدث » •

لم أكف حتى انفرجوا من حولى ، ابتعدوا عنى ، غابوا عن نظرى ، تلاشــوا من شوارع مدينتى المتسعة ، الطويلة ، الثعبانية الملمح •• فقلت :

« اذن تحققت النبوءة » •

اسـباب

صعدا بضحكاتها معا الى الحافلة المكتظة ، فالتوت الرقاب نحوهمـا •

تأملت سحنة رجل وقور بجوارهمـا ، وشت عينـاه عن التفاتة اليهمـا ، من بعيد لبعيد ، ارتسـمت سحنته على بسمة بهيجة وعيناه على بريق ضحوك •

تابعته مغتبطا ، اذا به يفرج أساريره ، يرفع حاجبه ، يعض شفته السفلى ، يحك قفاه •• منتبها •

نظرت فرأيت الفتاة تسقط وحدها من السيارة ، حاولت قراءة طلعة الرجل الوقور جيدا ، وقد تعلق بوجه الشاب الخفى فى منديل ، اذا به قد فاض بغضبة لم أره من قبل وان فهمت أسـبابها •

الـــدوى

انفلق الرجل عن كومة الأجساد ، انداح وحده فى الممر المظلم . كان لصوتهم دوى حين الانفلاق وعندما شاهده الآخرون فى نهاية الممر . فقال :

« بينهم كنت نسيا منسيا » .

لمـا أحاطوه ، انزاح بينهم بعيدا جدا ، فجـأة انهـالوا عليه ضربا ، علا دوى أصـواتهم وهم يضربونه :

« ما كنت يوما معهم ، لن تكون لنا !! » .

مشـــاجرة

حاول أن يميز الأصوات المتداخلة المنبعثة من الغرفة .. فشـــل .

دخل اليهم ، لم ينتبهوا له ، كلهم شفاه تتحرك . قـال لنفســه :

« من الحكمة تنظيم ذلك الحوار » .

وقف مشيرا بأصبعه ثم بصوته ثم بكفيه أن يكفوا .. فشل أيضـا .

جلس الى كبيرهم الذى شاركه ايمـاءة ، لكزة بلكزة ، دفعة بدفعة ولمـا انتبه الداخل حالا الى من حوله لاحظ أن كل اثنين منهم يفعلان بمثل ما يفعل مع كبيرهم !

داخل المحال التجارية والأسواق انشغل الباعة فى فحص وجوه المبتاعين . عند بوابة المدينــة ركز رجال الحراســة على ملامح العابرين منها واليها . حول مناضــد المقاهى والقمــار والنرد والتسلية انشغلوا فى التقاط أية ايماءة أو همســة من أيهم لأيهم . كلهم فشــلوا فى ضبط القاتل ، ما زالت الأخبار تشير الى ازدياد البنات الموءودة والأطفال الجوعى والرجــال المشــلولة .

فى المساء غلبت الظلمة النور ، ارتمت الأجســاد المنهوكة على المراقــد .

فى الصباح الجديد ، جميعهم قص حلمه الخاص جدا ، قبل أن يكمله يتابع عليه السامع . ما أن ينتهيا من سرد الحلم معا .. ينظران الى السماء معا أيضا ، يقولان .. كلهم قالوا :

« اللهم اجعله خيرا »

الحـــكم

صدر الحكم .. الرجم ببصاق القوم اللزج ، الغروى ، الشفاف . تأملت جثته ، وجدته يسبح .. يقاوم .

سألتهم ان كان الرجل مظلوما .. قالوا :

« أبــدا » .

طال المشهد ، القوم من حوله يتأملونه ، وما زال الرجل يحــاول . نجح فى رفع رأســه أعلى اللزوجـة والغــراوة والشفافيــة .

لـمـا فلح فى محاولته ، رفعوه فوق رءوسهم مهللين .

مصمصت شفتى وحسب !

الثـــــلاجة

بعد حوارات عديدة فشل فى اقناع زوجته بعدم جـدوى الثلاجة .. فاشتراها .

يستيقظ قبل الفجر ، ينام بعد العشاء ، يذهب الى الديوان سيرا على الأقدام ، يقضى ثمانى ساعات فى العمل .. المكلف به وفى معاونة زملائه ، لا يأكل خارج البيت ، يتناول طعامه على الأرض .. رافضـا منضـدة السفرة والمرحـاض السلطانيـة « الافرنجى » ، بعد العصر يستقبل ضيوفه .

اليوم شعر بأعراض نزلة برد شديدة .. سـعال جـاف وخشـن ، من موقعـه فى الشرفة حيث يقضى بقيـه يومه فوق الفوتيه المتهالك تابع حوارا بين ابنه وأحد الأصـدقاء عن مباراة كرة القدم الفائتة وعن فيلم السهرة القادم .

سمع الضيف يسعل سـعالا جافا وخشنا ، ترك مقعده ،

بثقة استفسر منه وبالثقة نفســها أمره بشرب النعنــاع الدافىء والشيح البابونى على الريق ، ثم حذره من شرب المياه الباردة من الثلاجة .. وأكد على تحذيره .

عندما شعر بعدم مبالاة الشــاب وتجاهله المتعمد ، أدار وجهه عائدا الى الشرفة محاولا حبس ســعاله حتى احتقنت أذنــاه .

ارادة

فى جلسة السامر قال لهم :

« معى ثمن الجاموسة ، سوف أشتريها غدا » •

فى الصباح التف حوله اللصـوص ، سرقوه عاد وقـال فى السـامر :

« سرقوا فلوسى • لم يسرقوا فكرتى » •

فى اليوم التـالى ذهب الى أحـدهم أن يقرضـه • ظن اللصوص أنه قدم خصيصا لينتقم ، تحرشوا به ضربوه • عـاد وقال فى السمر :

« ولو •• لم يسرقوا ارادتى » •

فى اليوم التالى ذهب الى السوق ، تشاور اللصـوص فى الأمر ، ظنوا وهو المضمد الجراح •• المضعضع الحـال ، أنه جاء انتقاما ، ومعه آخرون لا يروهم •

يومها فروا من أمامه بعيدا عن السوق •• وفى الأيـام التاليـة •

القنطـــرة

فى الصباح الباكر يلتقون معا من شتات الأرض • عراة الرءوس ، واضعى المناديل المحلاوى ، لاصقى الطواقى الشبكية والصوفية والدبلان ، ومرتدى العمامات المبرومة • أغلبهم قابع تحت شىء ما على رأسه •• لا يسمى ولا يوصف •

تجمعهم الفسحاية الواسعة أمام القنطرة ، يجلســون على الأحجار الكبيرة ، يرتكنون على جــذوع الأشجار القليلة ، غالبيتهم يفترشون الأرض • سرعان ما يتشاكون ، يتصايحون ، كثيرا ما يتشاجرون ويتصارعون •

ما أن تقترب سيارة المقاول عند الطرف البعيد من القنطرة ، يندفعون نحوه • ينظر مليا فى خلقتهم • يأمر أحدهم باشــارة من سبابته أن يحضر • الرجل يدفع من أمامه •• يرفس من خلفه، يعــدو •

من أن يطمئن أنه عبر القنطرة وركب السيارة ، ينظر حواليه يعسعس بنظرة متأنية، القنطرة والفسحاية هنـــاك ، يلوى شفتيه، يعود فينظر بعيدا جدا ، كأنه ما عرف شيئا ولم ير ، ثم يطأطىء الرأس صامتا !!

الطنــــين

كناس الشارع يدفع الأتربة نحو وجوه المـارة ، ورقـة ممزقة التصقت بساقيه ، انحنى ورفعها ، تأملها • لاحظ صورته وأخرى لفتاة جميـلة ، تأكد له أنها صفحـة المفقودين ، لفترة سابقة سـمع تفسيرات عدة عن سر اختفاء الفتـاة تلك حتى أصابه الطنين •

قـالوا :

« اختفت فى ظروف غامضـة » •• « انها تجيد الزراعة ورقصة البمبوطية » •• « بل والصلاة ولعب الورق » •

لم يشعر برغبة حقيقية فى أن يشارك ، اتهموه بالأنانيـه وسبوا اياه • أزف ميعاد التوقيع على دفتر الحضور والانصراف• عدوا عبر الشـارع ، عندما وصـل الى باب المترو ، لاحظ صورة الفتاة وصورته معلقة ، احداهن اقتربت منه • رمقهـا :

« انها هى •• نعم • الفتاة الجميلة المفقودة » •

الطنين جعله يشعر بالدوار ، جلس تحت المظلة ، أشعل سيجارة . استشعر مشكلة لم يجد لها حلا .. ذراعاه ، أين يضعهما وكيف ؟ ! . أنتظر الفتاة . لم تحضر . شعر وكأنه سقط فى هوة بلا قرار .. لم يصرخ . لمح أمه فبكى لها . قالت :

« نينا نام .. نينا نام » أعطته البزازة ، سعد بها ، التقمها بشدة بين أسنانه . فجأة صرخ .

التفت المارة وراكبو المترو . عيونهم تسأل ، ابتسم بسذاجة قائلا :

« أبدا .. قضمت أصبعى السبابة » !

رسـالة

يصطف المساجين لتلقى الأوامر اليومية واستلام خطاباتهم. شـوق السجين الى الحرية يلعقه يمضغه ، يهضمه ، يتمثله ، يخرجه فى لهفة شوقا الى رسالة تأتيه .

لم تأته رسـالة واحدة منذ زمن ، اليوم تسلم خطابا ، طلبوا منه أن يقرأها بصـوت عال . طوح نظرة متعالية ، افتعل سعالا ، حك فروة رأسه . الآن تهيأ لتلاوة رسـالته . أحدهم نهض ، اختلس نظرة الى الرسالة ، فجأة صرخ :

« غش ، كذب ، بخطـه هو .. المصيبة أنه نسى ووقـع باسـمه » !!

فانفجروا فى صرخة ضاحكة حتى سقط بعضهم الى الأرض. أما هو .. وحده ، ظل جامدا ، صامتا .. كلوح ثلج ، كأى شىء بلا حيـاة .

لا

كلما دخل وخرج من حجرة المدير العام يقول :

« هذا ظلم » ، لن أنفذ هذه المرة ، كل هذا لأننى لا أقول « لا » . لم تمض الا دقائق قليلة حتى دخل أحدهم يطلب :

« أريد تقديم هذه الشكوى ضد رئيسى المباشر .. يتعمد تحميلى كل أعباء العمل » . « ما أن نطقها حتى نهض الرجل على غير عادته فى حركتـه البطيئة ، صرخ فى مديره العـام » قائـلا :

« ان ظلم الرؤساء هذا لابد أن نضع له حدا ... »

ولم ينقطع صراخـه ، يعيد قراءة شـكوى زميله للمرة العاشرة ، ضحك الزملاء بالخارج ولمـا طال انتظارهم اندفعوا الى الحجرة حتى يخرجوه عنوة .

فشـــلوا .. لا يدرون أية قـــوة تلك التى واتت زميلهم النحيف الضعيف . خطفوا الورقـــة ، مزقوهـــا منه . زميلهم حفظها عن ظهر قلب ، ظل يرددها ، حتى خرس وحده .

اقتربوا منه ، تفحصوا وجهه .. وجدوه قاطع النفس !

الجبـــــيرة

يشـــعر بالهوان من قيد الجبيرة القابضـــة على ركبتـــه اليمنى •

أعد العدة •• سكين قديمة بلا مقبض ، يعلوها الصـــدأ • حك الجبس ، بصيلات شعر جسده نفرت • مر بيده فوق جلده الخشن المحروق المترب • همس :

ما كان كذلك •• يوم زفـــاف نزلت الترعة وطلعت فـــل الفـــل » !

سقطت السكين ، عجز عن التقاطها من الأرض •

زوجته ما كانت تدعه يهم بالتفكير فى أمر الا ونهضت به ، تنفذه على خير قيام • عندما فقدها شعر وكأنه فقد كل أعضائه الا خزينتى الدموع خلف العينين •

امتـــلأت الأرض والأثاث الفقير والشـــعيرات المدلاة من

فتحتى أنفه بغبار أبيض . بدت كحالها يوم الخبيز . حتى آخر أيامها معه كانت تقول :

« طول ما أنا عايشة ما يدخل بيتنا العيش الصناعى ! » .

أخيرا انتهى من فك الجبيرة . مشهد الحجرة جعله يتذكر مقولتها :

«اشترى العسل الأسود لجل ما تأكله بالعيش الساخن .. وبالهنـــا » .

انتفض واقفا مدفوعا بالذكرى . سقط على عجزه . تأكد له أنه نزع الجبيرة ولم يلتئم الهشيم فى العظام بعد .

نظر حواليــه ، رمق مشــهد الســكين القديمــة التى بلا مقبض .. تلمع ، لم يعد يعلوها الصدأ . حاول الحركة . شعر وكأن الجبيرة ما زالت حول ركبته اليمنى . حول ركبتيه .

لأنــه لم يحــاول !!

منذ قرابة السنتين استلما العمل فى نفس اليوم وبنفس القسم ، مكتباهما متجــاوران ، عملهمــا مكمــلان لبعضهمــا البعض •• لا غناء لأى منهما عن الآخر •

تقول عنه وتقص ، قالت ضمن ما قالت :

انه ليس بالشاب الوسيم ، ليس فيه ما يبهر ولا أرى فيه هرقلا ولا عنترا •• أراه كما هو •• الرافع الرأس ، الشامخ الأنف الخجول ثقافته على لسانه ، حبه فى عينه ، قلة حيلته تنطق بها ملابسه المتواضعة •• « ودوما أتقرب اليه بســؤال ، أى سؤال •• ويجيب ، الا بالأمس •• لم يفعل !!! »

قــلت :

ــ لقد تقدم لأبى طبيب ، يطلب الزواج منى ••

كان بالخارج منذ أكثر من خمس سنين ••

يملك سيارة واشترى الشقة ••

و .. وحيد أمه !

صمت :

بعد فترة تابعت ..

ـ ما رأيك ؟

....

بانفعال :

....

ـ أراك تبتسم ... وتضحك أيضا !!

ـ أحيانا تبدو لى غريب الأطوار ، غامضا .

أخيرا رد قائلا :

ـ وهل يمكن لرأس أن تفكر فى أمرك ، وللسانى أن يجد الكلمات فى مثل هذا ... !!

ـ ماذا تعنى بكلمة هذا ... ؟ !

ـ زواجك من طبيب ، شاب ، ثرى ، يملك سيارة وشقة .. ووحيد أمه ؟ ثم ضحك بصوت متقطع أشبه بنحيب مكتوم .

فقالت بتحد :

(سوف أقبله .. نعم سأفعل ، ليس لأنه كما قلت أنت .. ولكن ...

لأنك ... لأنك لم تحاول !!)

الذبيحـــــة

تتح الرجال وعلقوا الذبيحة من عرقوبيها فى السلاســل الحديدية المدلاة من عل • قــدم الطبيب لفحصها بالســكين وبنظراته الخبيرة • اتضح له انهم قشروها من الداخل ، بالفحص تأكد ظنه •

الأسرة صاحبة الذبيحة من حوله • الأم تبتسم بســمة شمعية ، وقد ضمت ولدها المحدق الى شفتى الطبيب • الأب تكلم كثيرا وفى موضوعات شتى ، ضمن ما قال :

« الدنيا ولعت » ، « الجاموسة بألفى جنيه » • السيدة تحسست موضع الأساور والعقد وقد تعلقت يدها حول رقبتها لفترة ادعى الطبيب الانهماك فى عمله •• آخيرا نطق :

« الذبيحة اعدام ، مصابة بسل عام » •

الطفل اندفع يعدو خارج العنبر ، صراخ السيدة ، نحيبها ولولاتها ونواحها غلب كل الأصوات • الرجل كف النطق ، فقط تعلق بالسلاسل الحديدية المدلاة من عل بكلتا ذراعيه فاغرا فاه!!

حكاية حب

خلال الفترة الأخيرة لاحظ ولدا وبنتا يجلسان فوق الأريكة الرخامية فى الركن البعيد والأقرب الى شاطىء النهر . كلما مر عليهما لعنهما ولعن أيامهما وأيام التليفزيون !

يظل يهذى بكلماته المتلاحقة حتى يجلس الى مكتبه . أما ضحكات الزملاء فلا يعيرها اهتمامه . انهم يعرفون سر غضبته الصباحية ولا يسألونه عن السبب .

اليوم دخل عليهم صامتا ، دهشا ، فاغرا الفم ، ورافعا الحاجبين .

ــ ماذا حدث يا محمد أفندى ؟

« سؤال من أحدهم » .

ــ ....

ــ ربما اقتنع أخيرا بالحب !

« قالتها زميلة صغيرة السن » •

— ....

لمـا طال الانتظار ولم يسمعوا ردا ، انفضـوا من حوله • لاحقهم قائـلا :

— يا جماعة لم أر الولد والبنت هذا الصباح !!

كلهم عيون محدقة ، وشفاه مدلاة • تابع :

— البنت ••عسـل ، شـبه بنتى • والولد يفكـرنى بشـبابى !!

أحدهم لم ينطق ، « محمد أفندى » ما زال يرطن •

كل عاد الى عمله أما هو فقد حرر اذنا للانصراف لمـدة سـاعتين •

سـألوه :

« الى أين يا محمد أفندى ؟ ! »

رد وهو عند باب الحجرة :

(نفسى أطمئن على العيال ، سوف أذهب اليهمـا ••• وأنتظر) !!

مجـــرد سرعـــة

نزلت المدينــة لأول مرة •• سرت بلا هدف •• أشعلت سيجارة •• عدة سجائر •• غرقت وسط الآخرين •• تأملت كل شىء من حولى • لمحنى •• كان زميل دراســة ، لم أكن قد قابلته منذ سنوات •• محتقن الوجه ، خطوط من العرق تمزق صفحة وجهــه ، ما زال قصــير القامة ، نحيفا !! • أغرقنى فى حضنه ، قبلنى ، طلب دقيقة واحدة •• قلت له : « عشرة » !! • قال كلاما كثيرا •• تكلم عن رئيسه القذر ، وزملائه الثعابين ، وعم صالح الساعى المريض •• أفاض فى وصف وجه الســاعى وعن مرضه المزمن ، طلب سيجارة •• أشعلتها له • بعد أول نفس تكلم عن زوجته المجهدة وانحصارها بين العمل صباحا والعمل فى منزلها ليلا : « اهملتنى ، ما كانت كذلك •• تصور !! » • انتقــل الى الأتوبيس الذى غرق فى النهر •• « الســائق كان مخدرا •• أكيد » ، عاد وأكد : « أبدا اهمال الصيانة السبب »، هنيهة وتابع : « تعتقد لمــاذا •• هه ؟؟ » •

لم ينتظر ردا منى ٠٠ تابع : « هل سمعت المطرب الجديد ٠٠ صوته صعب ومع ذلك تسمعه كل يوم وفى كل مكان ٠٠ عندى شرائط وأسطوانات قديمة ٠٠ عظيمة ٠٠ لكن يا خسارة » حاولت مقاطعته : « أية خسارة تقصد ؟ » •

٠٠ ولم يرد • « أنا منتظرك الليلة ٠٠ بعد الساعة الثامنة ليلا ٠٠ اياك النسيان ٠٠ أسوأ شىء يصيب الانسان مرض النسيان » •

صافحنى ، قبلنى ، غرب عنى ، بسرعة اختفى وسط الآخرين •

نظرت حولى مرتبكا ٠٠ لقد نسى أننا لم نتزاور مرة واحدة من قبل ولا أعرف له عنوانا ! » •

ظــل الرجــل

الليلة مرت ثلاث عشرة سنة بالتمام والكمــال . ما زال يؤدى الأدوار الثانوية : « لكن لها كاركتر » ، «لها مدلول » ، « جهلاء » .. همس بها الى أذنيه ثم خرج . سار فى الطريق الطويلة داخل معطفه الذى استدان لشرائه عندما كلفوه بأول بأدواره .

ســأل نفســه :

« أليس كل من يعمل فى المسرحية بطلا للشخصية التى يؤديها ؟ ! »

تابع المسير .. علق سيجارة فى زاوية فمه ، لم يشعلها ، عاد وخاطب ظله :

« لكن .. ترى الى متى .. الى متى ؟ ! »

انسابت دمعة ساخنة ، شعر بالدفء على خط مسارها فوق

وجنتيه المحتقنتين ، ورذاذات المطر تلطم عدستى نظارته الطبية ، فتنزق الأشياء أمامه • وحده يتابع المسير تحت سيل الأمطـار وقد ازدادت كمياتها • فرد ذراعيـه بطولهما ، بدأ يعدو ، وظل يجرى وكأنه يسابق ظله • صاح ::

« يا مطرة رخى •• رخى » •

بات يكررها لفترة ، ما أن كفت السماء وتلاشت الأمطار ، انزوى فى مكان خفى وأخذ يبكى !! •

الأشـــــباح

بالرغم من كل حكاوى جدته عن الأشباح ، لم يكن يعتقد فيها حتى سمع أصواتا غريبة لم يسمعها من قبل ، فى الظـلام كل الأشياء سواء ، ولكن أن تتحرك الأشياء وتكبر وتصغر وتتمارد فهـذا ما جعله يسمع صـوت نبضـات قلبه يدق فى أذنيـه •

لحظات وتشجع ، أمسك بعصى غليظة وجدها على الطريق الزراعية حيث دار أبيه ، ظل يهوى بها فوق الأشباح ويضرب•• لم يستطع أن يبين ملامح الأشياء التى تصارعه •• الا أنه أحس بالطمأنينة والانتصـار عليها ، انها لم تقدر على منعه من الوصول الى الدار •• خيل له أنه تعرف على ملامح الأشباح وهو يحادث أبيه • ما أن شاهده هم شارحا للرجل ما فعله وكيف انتصر على الأشـباح !

ما كان من أبيه الا أنه ضربه ضربا مبرحا وهو يقول :

(ألم أقل لك أنك لا تنفع فى شىء ، أمرتك أن تحضر المولد وتصف لى ماذا رأيت وماذا فعلت ، تعود الآن وتقول الأشباح.. يا أهبل . الآن تأكد لى أنك لا تصلح لشىء البته .. ولن !!)

الرشـــق

مديره المبقور الوجه بشق يشبه رشق السكين ، قال له هذا الصباح :

« لم تعد أنت ... أنت »

الكلمات ذوات النصل خرقت لفائف مخ الرجل ولم ينزف دما .

فى الظهيرة انداح بين طيات الحوائط الرطبة للحوارى الموصلة الى مسكنه ، تلك الحوائط المغطاة بلزوجة الكائنات الغريبة الخضراء والسوداء . شعر بوخزات خفية الى نخاع عظامه . لم ييأس بعد ، ما زال يسعى متحديا عجزه أن يصل الى حجرته ، مرقده ، حضن زوجته الدافىء . ما أن يدنو من دفء نهدى امرأته الأمل ، تميد أمامه وتتدلل ، ضلت خطواته المعبر ، شك فى الطرقات التى كان يحفظها .

غربت الشمس المعتومة بركام السحابات السوداء . لم

تبق الا الوخزات الرطبة والحوائط اللزجة .. فجلس . أطفال الحوارى يلهون فى الظلمة بالقاء الأجسام الصلبة الغامضة . رشقوه بواحد منها فنزف دما . واتته قوة متحدية أن يبقى ، اندفع الى بعضهم يلتمسون دفئا كاذبا من حول راكية نار . أزاحهم ، ضمد جراحه بحفنة رماد ، ثم سألهم :

« أريد الوصول الى دفء حقيقى » .

أشاحوا عنه ، انشغل حائرا :

« كيف يتجاهلونى » ؟

كاد ينسى هدفه ؟ انتبه على صوت يقترب ، شىء ما يعوى ويزوم ، نهض ، كل أعضائه استعدت للعدو .. بضربات قلبه المسرعة ، باتساع حدقتى العينين ، بالعرق الغزير . بريق عينى الكلب يزداد حتى كاد يملأ فراغ الحوارى ، دون أن يقرر ، أسرعت قدماه ، لسانه نطق قائلا :

« الا رشق أنياب الكلاب المسعورة ، الا رشق الكلاب المسعورة » .

الــدفء

عندما دخلنا معا ، حاولت أن أعفى عينى من آثار دفعى العصبى للباب الخشبى ، فالتقطت أذنى صوت ارتعاش الأطباق المتسخة والأكواب المقعرة بتفل الشاى الجـاف أعلى السفرة ، ورجرجة النوافذ الزجاجيـة المفتوحة .. شـعرت بلفحة برد شـديدة .

سرعان ما أشاحت عنى ، استدارت ، انحنت ، احتضنت الأشياء المبعثرة . تبغى تهذيب مشـهد الفوضى القـابض على شقتنا . مللت حالتى ، رغبت فى الذهاب بعيدا ، متخليا عنها وعن نظارتى وعينى ، بعد فشلى فى التقاطها ، تعودت أن أعرفها من عينيها وقسمات وجهها .

صمتها ، انشغالها شيد أطلالا ، فاشـتد الجفـاء بيننا ، انهـارت ملامح الصـفاء من على وجهى ، لمحت ذلك فى مرآة

الحمام . تعمدت أن أقضى به زمنا طويلا ، لم يصلنى دفء المياه المندفعة من الرشاش .. ملأتنى القشعريرة أكثر !!

خرجت ، سألت زوجتى أن تجهز كوب الشاى التمام ، زامت وأومأت ، حرت فى أمرها ... « هل ما زالت غاضبة ؟ ! »

ارتميت فوق السرير ساعيا الى جرعة دفء ، هيهات .. كأنى فى الخلاء . أخيرا لامستنى عفوا وهى ترتمى بجوارى ، كانت تنظر الى أشياء غامضة فى سماء الغرفة ! استكانت على جانبها البعيد عنى ، اختفت حتى شعر رأسها تحت الغطاء السميك .

غمت ، زمت ، تمتمت .. نطقتها :

« ليلة الزفاف كان شعرك ينساب فوق جبهتك فى رقة ، وعيناك نصف المغمضتين باسمتان ، والطلاء الكريزى على شفتيك . ليلتها أرهفت عينى تلتقط كل ايماءة منك حتى شرداتك الوديعة ... أما الآن .... »

فوجئت بها تقاطعنى ، جاءنى صوتها بعيدا من تحت اللحاف :

« ولو .. لن أصفح عنك » .

وددت لو أرى وجههـا أو عينيها وهى تتكلم ، بحـركة سريعة مباغتة سحبت الغطـاء وبقوة ، جذبت رأسها عنوة ، تأملت وجهها ، نظرت مليا وقد أغمضت عيناها . كانت المفاجأة.. انه الطلاء الكريزى على شفتيها ، تعرف أنه لونى المعشوق . لحظات وكل شىء فى انقلاب ، اندفعت عيناى وشفتاى تنهش فى الدفء الوليد .

اللوحـــة

ما كان يحدث أن يمســك الفرشــاة ، ويقف عاجزا عن العمــل ! .

تعود أن يرفع الغطــاء عن اللوحــة ، وهو يحتسى كوب الشاى الدافىء ، فى ليالى الشتاء الباردة ، متأملا عمله ببطء .. عمله الذى لم يفرغ منه ، ولو كانت لوحة بيضاء !!

يبدأ الحــركة بالألوان ، يمزجهــا .. الأحمر والأخضر الأزرق بالأصفر ، يسعد بدرجات البنى المغرورة ، الأســود لونه المفضل ، الأبيض لا وجود له ولا كيان .

.. الآن بعد أن احتسى كوب الشاى رفع الغطاء ، حمل المصباح ، جعله خلف رأســه ، ارتسمت جمجمته كتلة أميبية.. انبعجت ، انتفخت ، استحالت نقطة مظلمة . أعجبته اللعبة ، ما أن بهدأ يمســك بالمصباح المدلى ، يدفعه ، يرقص المصباح ،

يعود ويقف بينهما .. رأسه باتت بقعة سوداء على اللوحة البيضاء .. ضحك .

فجأة ظلام أسود احتوى المكان .. قال مكتئبا .. (يا ربى انها ليلة ملعونة) ! .. لا عزاء له الا قطته الخائفة ، جرى اليها حيث المواء الباهت المرغوب ، حملها الى كتفه .. هى أبدا ملاذه وسلوته . جاء بها مغمضة العينين .. تعهدها بالطعام الوفير ، والنومة الهادئة ، واللعب ، كل شروطه الا تخرج الى الأوغاد .. هذا كل ما كان يحرص عليه !!

خرج بها من غرفته العلوية حيث يقطن أعلى عمارة فى المنطقة سار بها محاذيا لسور السطح ، اعترته رعشة خبيثة جعلته يتردد فى أن يظل واقفا . انتفض .. شعر وكأن السماء تنكفىء من عليائها الى سطح العمارة .. حدق باحثا عن القمر ، هلالا كان أو بدرا .. لم يجده .. كاد يبكى . ضم قطته بقوة .

لم يمض من الوقت الا قليل ، قط ذكر ألقته السماء فى الظلمة ، كان صوته متشنجا ، حادا ، شبقيا .. قطته الأنثى رفعت رأسها ، انسانا عينيها يمسحان الأرض والسماء .. أظافرها ما كان يشعر بها .. الآن تبرزها ، تزرعها فى لحم كتفه !

القط الذكر ينظر اليه فى الظلام بعينين ناطقتين ، يحرك ذيله المقطوع « الأزعر » بتحد .. شواربه الطويلة يرفعها

كاشرا عن أنيابه اللامعـة وسط سـواد ألبس الأشياء « كل الأشياء » •• الرعب •

عليه باتخاذ القرار السريع ، أن يترك قطته الأنثى لذكرها المنتظر ، أو عليه بالقائها من فوق الطوابق العشرة •• الثوانى تسجل عليه ضعفه وتردده •

انه لا ينسى الخريف الماضى ، يوم خرج من بيته حامـلا معطفه ، ونظارته السوداء يتلصص خلفها •• شغله الشـاغل ، كيف يضبطها متلبسة مع الوغد فوق فراش الخيانة • ظل يسأل نفسـه ••••

(ترى ماذا أفعل ؟ أقتلها ، أفضحها . أسب جد أجدادها ، أم أصمت حتى تأتينى معتذرة) !!

(لا •• لا •• لن أتردد •• سـوف أقتلها •• وأقتله •• سوف أعاود الرسم بالفرشاة ، وستظل عظـام رأسى أسـوار حدودها الطليقة ، أما غير ذلك فلن أسمح به ، أبدا لن أسمح)•• ضم قطته بشدة وهو يتألم •

وقفت سيارة الأجرة عند محطة السكة الحديدية ، معلوماته تؤكد أنها سـوف تقابله عند ساحة المحطة •• قررا أن يقضيا أسبوعا فى « مرسى مطروح » ، أشعل سيجارة •• بالقرب من

رصيف القطار ، قال محادثا ظله المرمى أمامه ، مرتعشتان شفتاه ثقيلة عليه رأسـه •••

(لمـاذا مطروح بالذات ؟ ! •• انها تعـلم أنى عرفتهـا هناك •• أحببتهـا فوق رمالها •• احتوينا حبيبات رملها بين ثنايانا العارية ، جسدانا ألهبتهما الشمس ، حفظنا حرارتها فينا ، ابتلعنا حروف الكلام •• مضغناها •• امتصصناها •• أخرجناها آهات مشتاقة •• كنت صادقا وكنت !) ••

تابع : (ترى هل تضاجعه •• آه لو تأكد لى) ؟ !!

القطة قفزت من فوق كتفه بعد أن « هبشت » وجهه •• (الى أين يا ملعونة ؟) ••

القطة حرصت أن تخرس مواءها •• صوت شهيقها جاءه وكأنه فحيح أفعى !

الأصوات فى ساحة المحطة تغزو رأسـه ، انقطع التيـار الكهربائى •• السواد غطى كل شىء •• جرى •• جرى بأكثر مما يملك من طاقة حتى يضبطها متلبسة معه •

أمسك بعصا غليظة كى ينتقم من القط الذى خطف منه قطته •• رفعها •• قال بصوت خشن :

(تخونين !! علمتك الا تتركى الحجرة ، علمتك الا تقتربى من غيرى •• علمتـك الا تكونى الا لى •• لى وحـدى •• يا ملعونة ، وأنت يا ملعون) •• وهوى بالعصا •

اقترب منهما •• لاشىء الا جسداهما المتوحد •

الأصوات ما زالت ، دبيب القطار ، صوت نعال الآخرين ، صاح بغير هدى ، لقد قالوا له :

(منذ ثوان تحرك القطار) !!

عندما تأكد له موت قطته أعاد الى لوحته •

أمسك الفرشاة ، تحركت الألوان ، وامتزجت ، هبط على اللوحة البيضاء بضربات سريعة مثل ضربات قلبه !!!

دم الهدهـــد

لعله الوحيد الباقى ممن عملوا بسلخ ذبائح الانجليز فى السلخانة ، كثيرا ما يحادث الأطباء بأسماء الامراض والأعضـاء بمسمياتها الانجليزية . يقف الباقـون حائرين لهـذا اللسـان الأعوج حتى أسموه « الخواجة دقة » . وأيما فخر يرتسم على شفتيه المدلاه ، وانسان عينه يتحرك بخفة يسرق نظرة سريعة ، يمسح بها وجوههم البلهاء وهو يرطن بالانجليزية .

لا يجيد شيئا فى هذه الدنيا الا سلخ الجـلود ، وشرب الخمور الرخيصة ، تلك التى يجرعها . بادمان ، ولا يمنع شرب « السبرتو » ان تعذرت النقدية .

دخل مقبرته ، انه يحتل احدى المقابر العديدة بحى حدائق زينهم فى مقابل قروش قليلة يدفعها للحـارس كل أسـبوع . الأمانى تتراقص داخل جمجمة رأسه ، أخيرا عثر على من يعطيه هدهدا .

ستأتى به تحية ، انها السيدة ذات الأنصاف •• فى منتصف العمر ، نصف عاقلة أو هى نصف معتوهة •

حسب الميعاد حضرت ، تخفى ما تمسكه من ساقيه وهو مكبل القدمين ، القت به الى الأرض ، تأملت المكان • لاشىء سوى شاهد مقبرة ، أمامه زرعة الصبار ، فى ركن بعيد حفرة صنعها « دقة » لقضاء حاجته ، فى مواجهة المدخل صورة ربطها بخرقة يعلقها على قائم الشاهد •

خرق قديمة فى ركن هناك ، على الأرض أشياء مبعثرة وأسمال يبرز منها قش الأرز صنعها لنومه ، كوز صدىء ، صندوق خشبى وصفيحتين للمياه ، أفرغ واحدة منها على جسده المرتعش منذ قليل •

الرعشة الملعونة ما عرفها الا مرة واحدة فى حياته ، يومها قالوا له انها الملاريا • الآن ومنذ شهور مضت باتت لعنة حياته • بسببها استلم الانذار بالرفت وسحب الرخصة منه كسلاخ لكثرة التمزقات التى يصنعها بغير ارادة منه ، ولأن لكل سلاخ علامة خاصة به أفتضح أمره • جاءته ورقة بحجم ورقة الصبار بالانذار •

ما أن قرأها ووعى ما بها حتى جن ، ضرب أحد الصبية

أمامه حتى نزفت أنفه ، سب السلخانة ويوم زرع بها ، هــاج وماج •• قالت له تحية :

ــ (عليك بدم الهدهد •• اشربه) •

ســألها :

ــ (من أين ؟) •

رددت :

ــ (اعطنى جنيه) •

ــ (كله) !!

أكـــدت :

ــ (كــله) •

أعطاها ، نفذت الوعد •• حضرت حسب الميعاد • ارتــاح كثيرا أن يرقد فوق مرقده وهى بجانبــه يتأمل صــورته التى أعاد مسح الغبار عنها ، برز شاربه الكث •• الذى كان ! ، تأمل تلك العينين اللامعتين صحة وقوة ، قلنســوته المــائلة فوق جبهته الضيقة نحو حاجبيه ، فوق عظمة أنفه الكبير •• كأنه يراها لأول مرة ، أو هو أمام مخلوق أسطورى •• نصف آلة • يوم أكل عشرة أرغفــة ، يوم ضرب ثلاثة رجــال أشــداء فى

مشاجرة لا يعرف لها سببا !! •• يوم أحب زوجة أحد المعلمين الأقوياء وأكثرهم نفوذا وأحبته ، وأيام تتلى على ربابة الشاعر •

المسكين الملقى هنـاك ، المكبل •• يحرك جناحيه ، يضرب الأرض ، يلقى قدميه ، يرفع رأسـه ، يحاول ذلك ، شيء من التراب هاج ، لا أكثر •

السيدة تتمايل ، تبتسم ، تتضحك ، ترمقه بنظرات خبيثة ، فهمها الرجل ، اشتعلت أذانهم الأربعـة ، اليدان عرفتا طريقهما أسقط جلبابها من فوق كتفيها • للصمت وجود مهاب ، الا من صوت الجناحين يضربان الأرض ضربا • فجأة هبط احسـاس خبيث • الرجل كمريض التيتانوس ، كلوح خشبى صـلب ، شاحب السحنة ، كأنهم حقنوه دما أصفر •• كالدود ، عرق غزير يعدو بخفة فوق جلده الأسمر الخشن • المكبل القدمين تبرز !

زجاج الصورة فوق الشاهد يلمع ، يعكس أشـعة قرص الشمس الذاهب الى غروب ، سألته :

ـ (ماذا بك ؟)

قـال :

ـ (احساسى بثالث يسرق رجولتى ••)

ـ (لكن لا شيء هناك !!)

ـ (كيف ؟ ! انه هناك خلف الشاهد)

ضحكت ، حاولت ذلك .. فخرجت ضحكة هى مزيج بين الاضـــداد !!

المكبل يرتعش بشدة ، الجناحان يرفضان الصمت . زوبعة هاجت ، أتربة ســـوداء ماتت فوق الوجهين .

ورقة الانذار طارت ، الزوبعة أثارت الورقة واللفافة ، فضح الأمر ، انه ليس بهدهد ، انه حمامة .. لا أكثر !!

وحبيبات من التراب ملأت العيون .

السيدة رمت بجلبابها فوق جســـدها المجعد المشقوق ، بصقت على الأرض ، مالت تأخذ هدهدها المغشوش ، صـــاح عليها تترك له الحمامة ، يشرب دمهـــا ! .. أى دم .. لم ترد عليـــه !!!

أوصد على نفسى الباب .. وسهمت . حاصرنى جلدى الأسمر ، المحاط بشعرى الكثيف المتشابك . انكفأت على أحشائى ، اشتهيت من عشعشت فى وريدى . أعرفها تعترض الشعر ، صارحتنى فى آخر لقاء قائلة :

ربما أجعل منك قصيدة ! »

***

بعدما رفعت القلم وجفت الصحف المطوية على محاولاتى اللحوحة لكتابة ذات القصة .. هيهات ! ، سارعت بالاتصال بها.

***

تقابلنا ، فضلنا افتراش الحديقة الفسيحة كل مساء ، أتأمل بريق عينيها وشفتيها المضمومتين . اكتفينا بالعبث فى حشائش

الأرض من حولنا ، نجرد موقعنا من الخضرة . بهدوء وبلا اتفاق مسبق ننسحب الى رقعة جديدة .

***

ما أن نلتقى .. أسألها وتسألنى :

« هل انتهيت من القصيدة ؟ ! »

« هل انتهيت من القصة ؟ ! »

ننطق السؤال معا ، بالنفى تخرج الكلمات فى صوت غامض ، كأننا ننطق بهواء الشهيق ! .

نجلس ، نعاود العبث فى الحشائش ، ننزعها ، ننسحب الى رقعة جديدة ، نجردها ثم ننهض فى صمت ، وربما مع بسمة بلهاء اذا ما تأكدنا من اتساع الرقعة الجرداء .

***

باتت عادة .. يتكرر السؤال ، نصمت منشغلين فى تجريد الأرض الخضراء من خضرتها .

بانقضاء الأمسيات اكتشفنا لعبة جديدة ، نسرى بها عن نفسينا ، بحساب زمن تجريدنا للرقعة من حولنا ، بحصر عدد

مرات لقاءاتنا السابقة بعد البقع الجرداء ، بحساب الزمن الكافى لتجريد الحديقة الفسيحة .

***

أخيرا ما عدت أتأمل عينيها المبرقتين ولا شفتيها الدهشتين المنفرجتين ، ولمـا مللتها وفعلتنا كل مساء ، عدت الى حدودى التى أعرفهـا .

أوصدت على نفسى الباب .. أتأمل شعرى الشائك فوق جلدى الأسمر .

« دراما الهزيمة »
قراءة فى قصص المجموعة

د. رمضان بسطاويسى محمد

« ان معرفتنا لشىء من الأشياء أثناء اليقظة تنطوى على عملية شبيهة بالعملية التى تتم فى الحلم . اننا لا ندرك من الشىء الا بعض خطوطه ، وهذه توقظ ذكرى الشىء كاملا » .

هنرى برجسون « الطاقة الروحية »
ص ٨٩ من الترجمة العربية

- ١ -

تثير هذه المجموعة من القصص قضايا كثيرة ، منها أن معظم القصص تنتمى الى القصص القصيرة جدا التى بدأت تطالعنا بها المجلات الأدبية ، ونجدها عند رفقى بدوى وسعيد

عبد الفتاح وربيع الصبروت ، وغيرهم من الأدباء فى هذه المرحلة من تاريخنا الأدبى ، وهـذه القصص لا تنتمى الى مثيلتها فى الأدب الغـربى عنـد ناتـالى سـاروت ، وكتـاب المدرسـة الفينومينولوجية ، الذين يقومون بوصف ورصد ما يدور فى الحضارة الغربية من أشياء وأحداث وحيث يعتبرون أن الوصف الدقيـق يكشف عن مضـمون معطيـات الشـعور والخبرة الانسانية ، وتجد عند آلان روب جريين قصـة تصف مائدة وصفا دقيقا ، ولكن هـذا نابع من فلسفة خاصة بهذا الاتجاه فى الفكر الغربى مؤداها أن للأشياء حضورا قويا فى حيـاة الانسان المعاصر ، وتسيطر عليه دون أن يدرى ، وبالتالى لابد من الكشف عن المضمون الشعورى لهذه الأشـياء والأدوات التى تحيط بالانسان ، وذلك لا يتأتى الا من خـلال أن ندع هذه الأشياء تكشف عن نفسها لنا ، وذلك بالوصف الدقيـق لها . بحيث لا تكون القصص محورها الانسان ، فهذا الزمـان الرومانتيكى الذى كان الانسان يحتل فيه مكان القلب ، قد ولى وانتهى ، وأصبح للأشياء هـذا الحضور الطاغى ، بل صار الانسان يقيم وفقـا لمـا ينتجـه من أشـياء ، ولذلك ظهرت مصطلحات تصف الانسان ووضعيته الراهنـة مثل النشـوء Raibiation ، ولذلك أصبحت الأشياء عندهم هى محور القصص تأكيدا لهـذا الفهم • ولكن القصص ــ لدينـا ــ

لا تتشابه مع قصص ناتالى ساروت وجرييه الا فى حجم القصة ، وعدد كلماتها فحسب ، ولكن القصص لدينـا التى ظهرت من هذا الحجم القصير جدا ، لا يزال الانسان هو محورها وليس الانسان الوحيد ، ولكن الحدث القصص الانسانى هو محورها وموضوعها الرئيسى أيضا ، ولذلك فان رد هذه القصص ــ كما جاء فى بعض التحليــلات النقدية الى مثيلتها فى الغرب هو من قبيل الكسل العقلى ، الذى لا يقوم على تحليــل القصص ، وبيان اختلافها هنا عن هنــاك ، وهو تشابه فى المظهر الخارجى فحسب ، ولكن أدوات القص مختلفة تماما ، والموضوع أيضا . وقصص هذه المجموعة لا تحاول تقليد القصص المتشابهة معها فى الحضــارة الغربيــة ، فلا تنهج نهجها فى وصف ورصــد الأشياء ، وانما هى تقوم على وصف الحالات الانسانية والمواقف المختلفة التى يمر بها الانسان فى الواقع المصرى ، فهى تريد أن تنقل حالة انسانية ، أو شعورا ما عارضا ، أو لحظــة مكثفــة عميقة ، أو خبرة اكتشفها الانسان فى لحظــة ، والقصص فى بنيتها العامة تركز على الطابع المفتت للانسان فى حياته المعاصرة ، بحيث لا نجــد رباطا موضــوعيا بينهم ، ولذلك فان هــذا الشكل يقوم على دعاوى مختلفة عن تلك التى تقوم عليها نفس النوع من القصص فى الحضــارة الغربية ، من هذه الدعاوى

أن الطابع الاجتماعى وقيم التبادل الاستهلاكى ، أصبحت تفرض لعلى الانسان المصرى فى حياته طابعا مفتتا ، ليس بينهم طريق للتواصل ، فنتيجة لتقسيم حياة الانسان ، وانفصال عوالم حياة الانسان الواحدة عن بعضها ، أصبحت حياة الانسان تتكون من لحظات مفتتة ، والانسان هو الذى يقوم باخفاء الطابع الكلى عليه حسب فاعلياته الحياتية والذهنية ، وهـذه القصص تقوم على رصد وتحليل هذا الطابع المفتت لحياة الانسان المصرى . وانفصال كل لحظة عن الأخرى ، وهـذا نتيجة لتطور سياسى واجتماعى وتراكم تغييرات اقتصادية أدت الى اعادة البناء القيمى وترتيبه حسب أولويات جديدة ، تقوم على التجزىء والتفتت ، فحياة الانسان فى الشارع ، غير مترابطـة مع حياته فى العمل ، أو حياته فى المنزل ، بحيث لا تفضى كل منها الى النتيجة الطبيعية، وأصبح (الكلام) شعاراً لا يطبق فى الممارسـة والسـلوك ، وانفصل الوعى عن الممارسة ، وهذا كله نتيجة لهـذا الطابع المفتت لحياة الانسان المصرى المعاصرة ، لا سيما فى المدينـة العربية مثل القاهرة • وهذه القصص رغم انفصالها الظاهرى عن بعضها ، ورصدها لحالات مختلفة ، قد تبدو بعيدة عن بعضها البعض الا أنها تشكل ـ فى النهاية ـ قصـة واحدة طويلة من مقـاطع مختلفـة ، تكون رواية من نوع جديد ، ترصـد فيه

الملامح المختلفة والمفتتة للانسان المصرى ، وهى بهذه الصياغة تحاول أن تعيد ما تجزأ الى الوحدة الكلية ، وهى الانسان ، ان الصياغة الجمالية بهذا الشــكل تعيد الوحدة المفتقدة فى الواقع لتحولها الى وحدة عضــوية جديدة متماسكة لها لحم ودم ، وتتكون من جسد واحد ، بدلا من أن تبدو أجسادا متفرقة فى الواقع • وهذه المجموعة تتشابه فى صياغاتها الجمالية مع مجموعة « سفر » لمحمد المخزنجى ، حيث تتكون أيضـــا من مجموعة من القصص القصيرة جدا ، ويظهر من خلال ترتيبها العام عن وحدة ما فى ادراك العـــالم وتصـــوره • وهذا ما نجده أيضا فى هذه المجموعة ، التى يفصح ترتيبها عن وحدة وادراك للعالم الذى تعيش فيه الانســـان المصرى ، وكيف ينتقل من حالة نفسية الى أخرى ، ليس بينها رابط ، ومعاناة الانســـان المصرى تنشأ من عدم وجود هــذه الرابطة • ولهذا فان هــذا الشكل يجسد ويكثف لدينا الاحســـاس بالمعاناة من هــذا التناثر والتفتت والانفصال بين هذه الحالات الانسانية • ومحور هذه القصص هو هــذا الانفصال بين العوالم ، الذى أحسب أن الكاتب قد لجــأ اليه لكى يطرح علينا موضوعه ، وهو لمــاذا الانفصال بين حالات الانسان ومواقفه ما دام هــذا الانسان هو القاسم المشترك بين هذه الحالات ؟

وهذا الانفصال هو المصيدة التى لا تجعل الانسان يبدأ أى خطوة لوقف انهياره ومعاناته أيضا • لانه ما دام الانسان مفتتا ، وما دامت حالاته منفصلة عن بعضها ، فكيف يمكن البدء، لكن يمكن أن نجد الاجابة على ذلك من خلال بعض القصص التى تشير الى دور الواقع فى دفع الانسان الى هذا المأزق • وهذا واضح فى القصة الثالثة من المجموعة وهى قصة « اغماءة » حيث ترصد أن بطل القصة حائر بين ما يسمعه من أخبار من الاذاعات الأجنبية ، ويجده مختلفا عن ما يسمعه من أخبار فى الاذاعات العربية ، ثم يجد نوعا ثالثا من الأخبار فى الصحف المحلية ، ولما كان الانسان يطالب بأن يتخذ موقف من هذا كله ، أو على الأقل أيهما يصدق من المصادر الثلاثة ، فانه يستريح من مواجهة الموقف والاختيار بين المواقف الثلاثة عن طريق الاستسلام للاغماءة •

ويعتمد الكاتب فى بناء قصص المجموعة على ادراك القارىء للمغزى أو الدلالة التى يقوم عليها العمل ، ولذلك فهو يعتمد على المفارقة ، لأنها أقصر الطريق لتقديم المغزى ، ممثلا فى القصة الأولى من هذه المجموعة ، تتوقف عند الطفل الذى يتعلق بصره باللعبة الكبيرة خلف زجاج الفترينة ، كما تعلق الأب بمشهد الذبابة الحبيسة التى تتلاطم خلف الأشياء العملاقة خلف الزجاج ، لأنه تجسد محبسه الخاص أيضا فى حياته •• ان

الكاتب هنا لا يصف فقط ، وانما يعتمد على انتاج المغزى والدلالة ، والحقيقة أن هـذا قد جعل بعض القصص تجنح الى المباشرة ، وهى حالات قليلة ، أما بقية القصص فهى تنجح فى تقديم جغرافيا للهموم الصغيرة للمواطن فى حياته اليومية ، ويركز فى تقديم هـذه الهموم الصغيرة على تداخل مستويات الوعى ، والأزمنة ، والانتقال من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم ، وان كان معظم القصص يغلب عليهـا ضمير الغـائب ، لأنه أنسب للقاص فى التقاط اللحظة شديدة الرفاهة والدقة ، فى كلمـات قليلة ، بينما ضمير المتكلم تجعل القـاص يجنح الى استخدام الاسترسال والاطناب وهذا ما لا يناسب الوعى القصـدى عند الكاتب فى تقديم قصص بهذا الحجم الصغير • وهو يعتمد فى بناء قصصـه على الاختزال والتكثيف فى تقديم موضـوعه وغرضه ، ويبدأ دائما من لحظة التوتر ، فيمكن ملاحظـة أن معظم القصص تجسد لحظة توتر ما ، (وهذا ما نجده فى قصة « الرجفة » حيث نجد ابنا يضيق بأبيه ، ويطرد من مسكنه ، وتبدأ القصة من قمة التوتر من اللحظة التى قيل قبلها كل شىء ، فالتف الأب على نفسه ، لا يدرى الى أين يذهب ، بينما يتساءل الابن دون أن يشير الكاتب ، ولكن مناخ القصـة يوحى بذلك : هل ما فعله كان صحيحا ، وضروريا مع هـذا الرجل الطيب فى أخريات عمره ؟) •

فمن الأشياء التى تحسب للكاتب ، أنه استطاع أن يتخلص من كل حشو ، وكل المقدمات التى تحفل بها القصص القصيرة فى تقديم موضوعها ، وهو انجــاز يحسب له أيضا ، وهو يقدم مواقف شــديدة التوتر ، فى لحظة الذروة ، واذا كان كل كاتب يقدم من خلال كتابته توصيفا وتعريفا للقصــة القصيرة ، لأننى ضد كل تعريف وتوصيف جاهز لأى نوع من أنواع الأدب ، فان مفهوم القصــة عند سيد نجم هى التى تعبر عن التوتر ، وهــذا واضح فى موضــوعات القصص وبنائها الفنى ، (من الموضوعات التى تلح على الكاتب فيقدمها بصور مختلفــة ، الانفصال بين البشر فى علاقاتهم المتجــاورة (قصــة أهلا) ، هاجس الموت (قصة الليل) محاولة الخروج من الفشل (قصة المحاولة) عتمة الوعى (قصة العتمــة) البحث عن الحقيقــة (قصة الحقيقة) التعبير عن توتر الألم (فى قصة استغاثة) ، والكاتب يكشــف عن أن القصص لديه هى نوع من التوتر العقلى ، ولذلك فاذا تأملنا عناوين القصص ، سنجد أن الكاتب كان يحــاول أن يلخص القصص فى كلمة واحدة ، ولم يوفق فى اختيار عنوان دال وهذا ما نجده فى استخدام ألف لام التعريف ولم يستخدم الكلمة المفردة (الفكرة) الا فى قصص قليلة ، فنجد بعض القصص يستخدم كلمات مثل : أسباب ، مشاجرة ،

ألوان ، فكرة ، استغاثة ، توافق ، اغتصاب ، لقاء ، رسالة ، ارادة ، بينما فى بقية القصص يستخدم الكلمات المعرفة مثل : الطائر ، اللوحة ، دم الهدهد ، الدفء ، الرشق ، الأشباح ، ظل الرجل ، حكاية حب ، الذبيحة ، الجبيرة ، الطنين ، القنطرة ، الثلاجة ، الحكم ، الكابوس ، الدوى ، النبوءة ، الحليب ، الظل الجذعة ، التذكرة وهكذا والمعرف فيه احالة الى المطلق ، بينما الفكرة أحالة الى الخاص .

والقصص تتراوح بين استخدام ضمير المتكلم والغائب ، ما عدا قصة واحدة ، استخدم فيها قصة ضمير المتكلم للجماعة « نحن » وهى قصة الاتهام ، وهى تقدم لقطة ذكية ، حيث يتناثر الدم على الجميع ، ويتساءل كل فرد ، من أين هذا الدم ، فيرد كل واحد ليس منى ، بينما هو فى الحقيقة دم الجميع ، والكل يحاول أن ينكر أن يكون الدم المهدر هو دمه . وهو يكشف عن الجبن لدرجة انكار الواقع ، لأن كل فرد يريد أن يصور نفسه متعاليا عما يحدث فى الواقع .

والقصص فى مجموعها العام تركز على تصوير عالم الذات الفردية الضيق ، وهمومه الذاتية فى اتصاله بالآخرين والعالم ، ولذلك فان البناء القيمى هو ما يركز عليه الكاتب ، وهذا ليس غريبا عليه ، فنجده فى كتبه التى صدرت من قبل مثل

مجموعة « السفر » و « أوراق مقاتل قديم » ، ورواية « أيام يوسف المنسى » ، فالعالم الروائى والقصص عند السيد نجم هو عالم الذات ، الذى يعكس الصراع بين القيم ، أو صراع بين الأشخاص •

- ٢ -

ويمكن أن نقدم بعض التحليلات النقدية لقصص المجموعة التى لم نشر اليها سابقا ، فمثلا قصة « نشوى » هى قصة رجل ينتابه احساس النشوة ، كومضات خاطفة ، فيحرص على هذا الاحساس ، ويقاوم تكدير الآخرين ، فيكف عن محاولة أن يعيش نشوته ويستمتع بها ، وكما هو واضح فالقصة تبدأ بهذا الشعور الداخلى الذى لا يظهر فى ملامح الرجل ، ولا تتحدد لنا نوعية النشوة التى يستشعرها ولا يصف لنا العالم الذى يجلب هذه النشوة ، وانما تبدأ القصة بالشعور الداخلى ، وتنتهى بهزيمة هذا الاحساس الذاتى فى مواجهة العالم ، لأن النشوة لا تتأسس عليه ، والقصص تمتلىء بهذا الشعور الحاد بالهزيمة ، والأسر ، والألم ، واليأس ، ولا تخرج منه ، ولذلك فالقصص ــ فى أغلبها ــ يسيطر عليها الزمان بمفهومه الذاتى ، كما هو واضح فى قصة (اغماءة) ، « متصلبا أمام

شاشة التليفزيون تمضى به الدقائق والساعات » بينما يغيب حضور المكان وملامحه ، فى قصص المجموعة ، وكأن شخوص المجموعة لا تنتمى الى عالم محدد ، له سمات جغرافيــة محددة، وانما هو عالم ذاتى ، وبالتــالى يدور داخل أفق الزمان الخاص ، ولا يخرج الى الزمان العام الموضــوعى المرتبط بالمكان ، ولذلك فلا نجد أى اشــارة الى المكان ، وانما المكان هو العالم ، البيت ، الشارع ، الزجاج ، المحكمة ، وقلما تخرج القصص من أسر هذه الأماكن المحدودة ، التى تجسد على مستوى آخر أسر الشخصية وسجنها الذاتى ، ولذلك فالقصص لا تقدم عالمــا ، وانما تقدم حالات نفسية ، ومواقف يسيطر عليهــا الشعور الذاتى ، الذى يلجــأ اليه الكاتب فى استخدام ضمير المتكلم ، ويختلط ضمير الغــائب بالمتكلم فى زاوية الرؤية بين الراوى والمتكلم ، وكثيرا ما يخلط القاص ، بينه كراو وبين الشخصــية التى يتحدث عنها ، وهــذا التداخل هو سمة للكاتب فى كثير من قصصه ، وهــذا ما يتضح فى قصة « الطائر » حيث يستخدم القاص ضمير المتكلم والمخاطب معا . فالسطر الأول من القصة مكتوب بضمير الغائب ، ثم ينتقل القاص الى ضمير الغائب دونما مقدمات ، فهو ينتقل بين زاوية الرؤية من وجهة نظر الرجل الذى صدمته سيارة ، ثم يحلق الكاتب ليكتب من زاوية تجمع البشر

الذين يلتفون حول الرجل والرجل يقبع فى وسطهم غارقا فى دمائه . وتبدو القصة وكأنهم فيلم سينمائى ، يكتب القاص من خلال كاميرا ، فليلتقط المشهد من أبعاد متعددة الزوايا والرؤية . ولما كان الكاتب حريصا أشد الحرص على تصوير المشاعر الداخلية ، فانه يجعل حواس الرجل البصرية تدرك ما حوله من ظلال وهو فى هذه الحالة المميتة .

- ٣ -

تعبر هذه النصوص عن فهم خاص للقصة القصيرة يقوم على انتاج المغزى والدلالة ، التى تكتمل فى وعى المتلقى ، فالقصة تكتمل فى وعى المتلقى حين يتنج منها الدلالة التى يريد أن يقدمها القاص ، وقصص الدلالة تعتمد على المفارقة ، أو التقابل ، كما هو الحال فى كثير من القصص ، حيث نجد التقابل بين موقف الابن الذى يطرد أباه العجوز ، لأن البيت لم يعد يتسع لهما ، فينطوى الأب خجلا وحزنا وكمدا .

الملاحظة التى تجدر الاشارة اليها أن القصص الأخيرة من قصص المجموعة ، وهى الطويلة نسبيا ، ومختلفة عن باقى قصص المجموعة القصيرة جدا ، مختلفة فى بنائها الفنى عن قصص المغزى والدلالة ، لأنها تقوم على تصوير ما هو كائن واقعيا ، وهى

واقعيـة ، تجمع بين الوصف النثرى للأشـياء وبين التنـاول الشاعرى له ، أى المحاولة أن يجمع القاص بين الذات والموضوع فى غنائية ذات بعد تركيبى مثل قصـة (اللوحـة) ، و (دم الهدهد) ، و (الطـائر) ، وهـذا يدل على أن هذه القصص تنتمى فى بنيتها الى فترة مبكرة من حياة الكاتب قبل أن يكتب القصص القصيرة جدا ، لأن البنية اللغوية لهذه القصص ، مختلفة فى التركيب والبناء ، ولأن القاص امتلك أدواته اللغوية بشكل أفضل من حيث التكثيف فى قصصه القصيرة جدا .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا ، ما هى أدوات الكاتب الأساسـية التى استخدمها الكاتب للتعبير عن رؤاه ؟ ، ولقد استخدم الكاتب أدوات عديدة فى بناء قصصه مثل السرد الذى كان يساعده فى طرحه لوجهة نظر الراوى ، وهـذا واضح فى القصص الأخيرة من المجموعة ، وفى القصص التى يستخدم فيها القاص ضمير الغائب ، والوصف ، واقتصره على الوصف الذاتى ، بمعنى أن الشخصـية تستبطن ما لديها من مشـاعر وأفـكار وأحاسيس وهذا واضح فى قصة « النشوى » واستخدم القاص أيضا للحوار ، ولكنه كان يلجـأ اليه لكى يبرز التقابل بين الشخصيات ، وغالبا ما يكون على هيئة سـؤال من الشخصية المحورية تتساءل وتطرح على نفسها الأسئلة ، وتطرحه بالتـالى على الآخرين . ولجـأ الكاتب أيضا الى الفانتازيا وعبر به عن

لحظات التوهم ، حينما يختلط الحلم مع الواقع ، فى كثير من القصص وكان يقصــد به تصوير عجز شخصياته عن الانفلات من عالم الواقع المحبط الذى تعيش فيه •

ويعتمد القاص لدينا على الشخصية فى بناء قصصه ، فكل القصص تدور من خلال شخص ما ، ولا يهتم بابراز المكان كبطل لقصصه ، أو الاستعانة بعــالم الحيوان ، وهذا ناتج من الطبيعة الذاتية لرؤيته الجمالية بشكل عام •

واعتمد الكاتب أيضا على المجــاز فى انتاج المغزى ، أى التمثيل الحكائى ، وهذا واضح فى القصــة الأولى من المجموعة وهى قصــة التعلق ، حيث تعبر محــاولة الذبابة الخروج من فترينة الزجاج التى دخلتها باختيارها ، هى التمثيل الحــكائى لمحنة الأب الذى يستشعر الأسر ، لكنه لا يدرى كيف ينفلت منه؟

لكن ما يقلل من جماليات وفنية القصة هو حضور الراوى فى الوصف والسرد ، والتداخل بينه وبين الشخصيات ، وأعتقد أنه لو تنبه الكاتب لذلك فيما بعد لاستطاع أن يخلص قصصه من كثير من الشوائب •

أما بنية الجملة فى معظم قصص المجموعة فهو يتراوح بين الفعل المــاضى والفعل المضــارع ، وهــذا يحدد لنا الزمــان

ودلالته داخل المجموعة ، فمعظم القصص القصيرة يستخدم فيها الكاتب الجملة الفعلية القائمة على الفعل المضـارع ، مما يوحى بأن الزمن المقصود هو الحـاضر ، والحاضر كزمن ، هو لحظة وهمية لأنها تتسرب من بين أيدينا باستمرار لتتحول الى ماض . بينما فى القصص الأخيرة من المجموعة نلتقى بالجملة الفعليـة ذات الفعل المـاضى ، أو المـاضى المستمر ، وليسيطر على هذه القصص الزمان بمفهومه الذاتى الذى يجمع الوحدات الثلاث داخله وهو المـاضى والحـاضر والمستقبل من خـلال منظور الذات لا الشخصـية التى يتحدث عنهـا الكاتب وينقل اليها همومهـا .

– ٤ –

هذه القصص تعكس فهم هـذا الجيل الذى ينتمى اليه سيد نجم لذاته ، وفهمه لواقعه ، وتطرح أيضا فهمه لفن القصيدة القصيرة ، وقد حاولت أن أصف رؤيته للعـالم ، من خـلال تحليلى لقصصه ، ومقارنتها بغيرها من القصص فى الحضـارة الغربية التى تنتمى الى نفس هـذا الحجم من الكلمـات . وأعتقد أن النقد هو توصيف لامكانات النصوص ، أما تفسـير هذه النصوص ، فهو رهين بصراع هذه النصـوص مع غيرها مما ينتجه الواقع الثقافى ، وبدون الآخر لا يمكن أن نفهم الأنا .

وهذه النصـوص تساعدنا فى تصور الكيفية التى يفكر بهـا الأدباء فى هذه المرحلة فى تاريخنا الاجتماعى والسياسى والثقافى. وأكبر خطر يمكن أن يقع فيه النقد هو المصـادرة على هـذه التجارب ، لأن هذا معناه قتل الدور الذى ينبغى أن يقوم به النقد ، وهو أن يترك التجـارب والامكانات التى تتضح وتعبر عن نفسها ، لتشارك فى الساحة الثقافية .

وهذه المجموعة تشترك فى سماتها مع كثير من الانتـاج السائد فى حياتنا الثقافية ، ويكفى أن نشير الى أسماء كثيرة مثل رفقى بدوى ، على عيد ، ربيع الصبروت ، سعيد عبد الفتاح ، السـيد الوكيل ، مصطفى الضبع وغيرهم من الكتـاب الذين ينهجون نفس النهج الذى ينهجه سيد نجم فى الكتابة .. ولذلك فان محـاولة التعرف عليه ، هى جزء من محاولة التعرف على الكل الثقافى الذى نزعم الانتماء اليه ولا نعرفه .

وهذه القصص هى مرحلة فى حياة كاتبها ، ننتظر منه المزيد فى المستقبل يكون أفضـل وأرقى .. وهذا لا يعنى انقاصا من هـذه المجموعة ، ولكنه تقدير للجهد فى المحـاولة والمشاركة وتجسيد خصوصية الثقافة المصرية فى هذه المرحلة .

الفهـــرس

صدر من هذه السلسلة :

	العنوان	النوع	المؤلف
١	شوارع تنام من العاشرة	قصص	احمد محمد حميده
٢	باب الريح	قصص	نبيه الصعيدى
٣	حكاية عروسة البحر	شعر	حجاج الباى
٤	الدم وشجرة التوت الأحمر	رواية	محمد عبد الله عيسى
٥	وقائع موت الجياد	شعر	عصام الفازى
٦	الشاطر حسن .. يخيب	قصص	عبد المنعم الباز
٧	.. وعائد اليك	شعر	المنجى سرحان
٨	مهزلة عائلية	مسرحية	جمعة محمد جمعة
٩	قصاصات حب	قصص	اسماعيل على
١٠	تاريخ يؤرقه الظمأ	شعر	مشهور فواز
١١	بقايا انتظار	قصص	عبد الفتاح منصور
١٢	اعدام قيس بن الملوح	مسرحية	محمد عبد العزيز شنب
١٣	نقوش الدم	رواية	رجب سعد السيد
١٤	تأملات فى وجه ملائكى	شعر	عبد الله السيد شرف
١٥	الصعود الى القصر	قصص	مصطفى الأسمر
١٦	اغتراب .	قصص	ناجى عبد اللطيف
١٧	والفجر	قصص	جمال نجيب التلاوى
١٨	فيضا يكون العشق	شعر	عبد المجيد احمد
١٩	حكاية الديب رماح	قصص	خيرى عبد الجواد
٢٠	خديجة بنت الضحى الوسيع	شعر	سماح عبد الله
٢١	فارس آخر زمن	مسرحية	حسن شلنده
٢٢	شهرزاد	شعر	نجوى السيد
٢٣	من ثقب الحزام	قصص	محمد هويدى

٢٤ ـ العطـش (قصـص) فاروق الأفندى
٢٥ ـ الزحمـة (شـعر) نصر الدين رحمى
٢٦ ـ تداعيات العشق والغربة (شـعر) صلاح والى
٢٧ ـ السيف والوردة (قصـص) حسـن الجـوخ
٢٨ ـ رحيـل م٠م (شـعر) مهدى محمد مصطفى
٢٩ ـ تراب على وجه القمر (قصـص) رشدى أحمد معتوق
٣٠ ـ بلغنى ايهـا الملك (مسرحية) فتحى فضـل
٣١ ـ الديك فى السيارة (قصـص) محمد السيد سالم
٣٢ ـ ابنـاء النهـر (قصـص) عـلى عيـد
٣٣ ـ وحتمـا سـيعود (مسرحية) أحمد ابو سديرة
٣٤ ـ بقايـا شـموع (شـعر) محمـد فـرج
٣٥ ـ بيت آل شـحات (مسرحية) جمـال فاضـل
٣٦ ـ الليلة .. نحكى (مسرحية) مجـدى الجـلاد
٣٧ ـ وجـه العـالم (قصـص) سعيد عبد الفتاح
٣٨ ـ فصـل من التـاريخ الخـاص (شـعر) حـزين عمـر
٣٩ ـ النـورس (قصـص) ابتهـال سـالم
٤٠ ـ فصول من كتاب الليل (شـعر) فؤاد سليمان مغنم
٤١ ـ رجـل فى الظـل (قصـص) عبد الفتاح يونس
٤٢ ـ الجلوس خلف الأبواب (مسرحية) محمد الشربينى
٤٣ ـ التائهـون (قصـص) كاميليا كمال الدين
٤٤ ـ العيون الملهمـة (شـعر) محمد محمود عبدالعال
٤٥ ـ قمـر بوبـا (قصـص) ابراهيم فهمى
٤٦ ـ الميلاد وحكايات الخريف (شـعر) يس الفيـل
٤٧ ـ الرقص فوق البركان (قصـص) حسـين البلتاجى
٤٨ ـ موسم زرع النبات (شـعر) كوثر مصـطفى
٤٩ ـ تنويعات على رأس رجل محبط (قصـص) عزت عبد الوهاب

الرقم	العنوان	النوع	المؤلف
٥٠	ازهار برية	شعر	عبد الشافى داود
٥١	انتظار	مسرحية	محمد فكرى
٥٢	ورقة من بطاقتى	شعر	النبوى سلامة
٥٣	ماسار	مسرحية	انور جعفر
٥٤	الخيل والليل وزهور البنفسج	شعر	محمد هاشم
٥٥	طائر الحب	قصص	اسماعيل بكر
٥٦	الخروج واشتعال سوسنة	شعر	عبد الناصر هلال
٥٧	العاشقون	قصص	نعمات البحيرى
٥٨	طالعين لوش النشيد	شعر	طاهر البرنبالى
٥٩	ارجوكم ارحلوا	قصص	جمال بركات
٦٠	آخر ما قالته الملكة	شعر	طه حسين سالم
٦١	عيون الدهشة والحيرة	قصص	محمد عبد الله الهادى
٦٢	نور النار	شعر	ابراهيم محمود حمدى
٦٣	عندما جاءت الأمطار	رواية	فؤاد حجاج
٦٤	أغنية أولى	شعر	عماد غزالى
٦٥	للمدينة وجه آخر	قصص	زكريا السيد عبيد
٦٦	خلف جبال الشمال	شعر	اسماعيل أبو زيد
٦٧	من يضحك كثيرا	قصص	هشام قاسم
٦٨	قلبى واشواق الحصار	شعر	عيد عيد صالح
٦٩	يوميات خلود	قصص	خالد الصاوى
٧٠	النبوءة	شعر	هشام أبو زيد
٧٢	قبل الخروج من الطابور	قصص	سعد عبد الحميد
٧٢	لبلابة فى القمر	شعر	مصطفى النحاس أحمد
٧٣	من ديوان العشق	قصص	سمير فوزى
٧٤	كائنات فى انتظار البعث	شعر	محمد السيد اسماعيل
٧٥	أرخص الدموع	قصص	السيد الجندى
٧٦	شوقا اليك	شعر	سعد عطيه

٧٧	ــ الولوج فى دائرة التيه	(قصــص)	معصوم مرزوق
٧٨	ــ قدمت للحب استقالة	(شــعر)	ياسر قطــامش
٧٩	ــ الآخرون واغنية للضحى	(قصــص)	سيد عبد الخالق
٨٠	ــ الدق ع البيبــان	(شــعر)	محمد صابر مرسى
٨١	ــ رائحة الزهور البرية	(شــعر)	صــالح الصياد
٨٢	ــ مسافــة الحــلم	(مسرحية)	مؤمــن أحمــد
٨٣	ــ فوق شجرة ما	(قصــص)	ناهد عز العرب
٨٤	ــ عناقيد الشــمس	(قصــص)	رجب الصــاوى
٨٥	ــ مربط الفــرس	(شــعر)	ســليم كتشنر
٨٦	ــ سندريلا واحلام سندباد	(شــعر)	محمــد عبــد الرازق زهيرى
٨٧	ــ المصــفقون	(قصــص)	حمدى البطران
٨٨	ــ ندهة من ريحة زمان	(شــعر)	ســمير الفيــل
٨٩	ــ حــلم أطفــال	(قصــص)	خيرى السيد ابراهيم
٩٠	ــ صفحة من كتاب العشق	(شــعر)	محمــد العتر
٩١	ــ صــباح فى المخيم	(شــعر)	سناء محمد فرج
٩٢	ــ حــال من الورد	(قصــص)	عبد الحكم العلامى
٩٣	ــ الأشجار تعرف الحزن	(قصــص)	عبد الحميد الفداوى
٩٤	ــ خروجــا على النص	(روايــة)	فراج عبد العزيز
٩٥	ــ ثقب فى جدار الذاكرة	(قصــص)	امين الصيرفى
٩٦	ــ ٣ الحان من عيونك	(شــعر)	محمــد الفيطى
٩٧	ــ الحيــاة مرة أخرى	(قصــص)	د. بدوى مطــر
٩٨	ــ فى انتظار الشمس	(قصــص	أحمد محمود مبارك
٩٩	ــ يوميات النبأ العجيب	(قصــص)	سمير المنزلاوى
١٠٠	ــ ليالى الحب والغربة	(شــعر)	محمد يونس
١٠١	ــ العبور من ثقب الابرة	(قصــص)	أحمد عبد الله متولى
١٠٢	ــ صياد فى بحر الكلام	(شــعر)	محمد مكيوى

١٠٣ ــ العمر ٥ دقـائق	(قصــص)	صــلاح معاطى
١٠٤ ــ أحــزان البطريق	(قصــص)	مجـدى البـدر
١٠٥ ــ ومن يوقد أعواد الثقاب	(قصــص)	وجيه عبد الهادى
١٠٦ ــ الحقيقة والوجه الآخر	(قصــص)	مصطفى عبد الشافى
١٠٧ ــ هموم امرأة متمردة	(قصــص)	محمد القصبى
١٠٨ ــ الخنــدق	(مسرحية)	فاروق عطيــة
١٠٩ ــ العصــافير لا تعشــق الطيران	(شــعر)	محمود خليــل
١١٠ ــ فى الصباح نلتقى	(قصــص)	ابراهيم عيسى
١١١ ــ جـذور متناثرة	(قصــص)	سميحة عريشة
١١٢ ــ الجسـد والحـلم	(قصــص)	محمد الحمامصى
١١٣ ــ الزافــة	(قصــص)	محمد شاكر الملط
١١٤ ــ موسيقى لعينيها	(شــعر)	سمير درويش
١١٥ ــ حلم كائن بسيط	(قصــص)	ربيع عقب الباب
١١٦ ــ ليلة عرس سوداء	(مسرحية)	سـيد حجاج
١١٧ ــ الأرز والبارود والزيتون	(قصــص)	فريـدة أحمـد
١١٨ ــ أصـداء حـائرة	(شــعر)	ياسر محمود يونس
١١٩ ــ عود ثقـاب	(قصــص)	فريد معوض
١٢٠ ــ الدق على أبواب الآتى	(شــعر)	د. عبــد الحميــد عبد الهادى حسن
١٢١ ــ لعبـة التشابـه	(قصــص)	منار فتح الباب
١٢٢ ــ اعترافات عاشقة قروية	(شــعر)	بهيـة طلبـة
١٢٣ ــ النــذير	(قصــص)	بدر عبد العظيم
١٢٤ ــ أيام فى حضن الليل	(شــعر)	حورية البدرى

١٢٥ ــ تداعيات زمن السقوط	(قصص)	محمد وهبة
١٢٦ ــ الجبل الشرقى وكفر الهلالى	(رواية)	شحاتة عزيز
١٢٧ ــ عندما انهارت أواريس	(مسرحية)	نسيم ابراهيم يوسف
١٢٨ ــ عينى عليك يا بلد	(شعر)	ثريا مصطفى
١٢٩ ــ قلوب فى العاصفة	(رواية)	عبدالحميد خليف يونس
١٣٠ ــ الذباب لا يلفظ عصافير	(قصص)	بهاء السيد
١٣١ ــ عروس الأرض	(شعر)	عزت محمد جاد
١٣٢ ــ الرحيل عن مدن الهزائم	(قصص)	خالد محمد غازى
١٣٣ ــ قدر من العشق	(قصص)	عفاف السيد
١٣٤ ــ الحويطى	(رواية)	فؤاد نصر الدين
١٣٥ ــ المتواليات	(شعر)	علاء الدين رمضان
١٣٦ ــ قيود الأحلام	(قصص)	سلوى الحمامصى
١٣٧ ــ أهل البيت	(قصص)	محمد القاضى
١٣٨ ــ مد وجزر	(قصص)	حسين أبو زينة
١٣٩ ــ حين تميل الجدران	(قصص)	محمد عباس على
١٤٠ ــ مراكب خوف	(شعر)	أحمد الخولى
١٤١ ــ النزلاية	(مسرحية)	حجاج حسن أدول
١٤٢ ــ العزف على أوتار الغربة	(شعر)	سلامة الطويل
١٤٣ ــ طيور بلا وطن	(قصص)	مجدى عبد النبى

١٤٤ ـ المسافات من عينيك تبدأ	(شعر)	عبد الرحمن عبد المولى
١٤٥ ـ البنت والشايب	(مسرحية)	محمد عبد الله
١٤٦ ـ أرض المراغة	(رواية)	محمد هلال
١٤٧ ـ المطاردة	(قصص)	اسماعيل بهاء الدين
١٤٨ ـ تقاسيم على الربابة	(شعر)	عبد الستار سليم
١٤٩ ـ كلام على كلام	(قصص)	ابراهيم قنديل
١٥٠ ـ جنون المال	(مسرحية)	صبرى عسس
١٥١ ـ سحابة صيف	(قصص)	فرج حكيم
١٥٢ ـ لم الشمل	(مسرحية)	محيى عبد الحى
١٥٣ ـ المصيدة	(قصص)	سيد نجم

العدد القادم

١٥٤ ـ رجل للبيع	(قصص)	محمود عزت موسى

رقم الايداع ١٩٩٤/٨٠٠١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 4077 — 5

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب